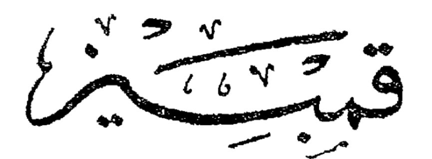


قمبيز

تاليف
أحمد شوقي بك



تأليف

المرحوم أحمد شوقي

يطلب من :

المكتبة التجارية الكبرى

بمصر ص . ب ٥٧٨

تمهيد

(١) زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد .

(٢) مكان الرواية : مصر { منفيس : عاصمة مصر .
صالحجر : مقرّ البلاط .

فارس سوس : عاصمة الفرس .

(٣) أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .

بسامتيك : ابن أمازيس وولى العهد .

نفريت : ابنة أمازيس .

نتيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .

قمبيز : ملك الفرس .

تاسو : حارس فرعون .

تتى : وصيفة الملكة نتيتاس .

فانيس : كان قائداً فى الجيش المصرى ثم التحق بالجيش الفارسى

رجال الوفد الفارسى .

رجال البلاط الفرعونى .

فوّاد ــ جند : من الفرس .

ساحر ــ راقصات ــ أقزام ــ
نواب ــ حجاب ــ خدام } مصريون ــــ .

*

الفصل الأول

المنظر الأول

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة — »
« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو هاهنـــا ؟

تاسو : وهل أُرى إلا هنـا ؟

أحومُ حـــول صنمى وحول هذى القَـــدَم

نفريت [تنظر إلى رجلها] :
حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشُّهْد والزُّبْد والنمير الصافى

ما بِك يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟

ما بالُ عينيكِ تريدانِ البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعـــلم بمـا

جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى؟ ماذا لقيت ملكتى

من القضاء ؟ مهجتى لكِ الفدا

نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخطبة الفُرْس تحطَّمنا معا

تاسو : إذن فهذا الغمّ من جرّائها

وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى

نفريت : وأنت يا تاسو ألم تحزنْ ؟

تاسو : أنا ؟ أحزنُ ياسلطانةَ الفُرْس أنا؟

لقد وددتُ لو ملَكت كلَّ ما

دبّ على الأرض وطار فى السما

نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها ؟

تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى

نفريت : فى فارس ! فى قصر زوجى نلتقى!

يا عجباً ماذا تقولُ يافتى ؟

تاسو : لِمَ لا أليس فى القصور سعةٌ؟ نحن هناكَ مثلُ ما نحن هنا

نفريت : هذا الغباءُ منك تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍّ سَوا

هنا أبى إذا بكيتُ رقّ لى وإن شفعتُ لكَ عنده عفا

تاسو : وثَمَّ ؟

نفريت: وحشٌ فى إهاب بَشَر يَقتُلُ من يلْقى

تاسو : أمون نجّنا !

وماذا اعتزمت ؟

نفريت: اعتزمتُ البقاء بمصرَ وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

وبالقُرْب منكَ ومن والدىَّ ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر

وبين وصيفاتى المُشْفِقاتِ ومن لاذ بى من بنات الأُسر

تاسو : ولكن تُرى كيف تجرى الأمورُ إذا علمتْ فارسٌ بالخبر

وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالفَ وابنةُ فرعونَ لم تأتمر

نفريت: ليجر بما شاء تاسو القضاء ليجر بما شاء تاسو القَدَر

لتَخْسَفْ بقوم عليها البلادُ ليستأخرِ النيلُ أو ينفَجِر!

فأما أنا فسأبقى هنا وإن غَضِبَتْ فارسٌ والنمِرْ

فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام

ولا لىَ فى مُلْكهم من وَتَرْ .

[تدخل الأميرة نتيتاس]

نفريت: من المُفاجي (نتيتا) ؟

نتيتاس: نفريتُ تاسو سلامُ

نفريتُ أصغى لتولى فلى إليك كلامُ

نفريت: تكلمى واقتصدى

نتيتاس: ولم أزل مقتصده

نفريت: أتيتنى شامتَةً

نتيتاس: لا بل أتيتُ مُسْعدَه

آمون قد مدّ إليك والى الوادى يده

وقد كفى مصرَ البلاء والخطوبَ المُرْعدَه

وكفَّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقَدَه

نفريت: وكيف نتيتاسُ ماذا ما الخَبرْ؟

كيف جرى غيرَ مجاريه القدرْ ؟

تاسو : ما لأمر يا سيدتى !

نتيتاس: وأىُّ شأنٍ فيه لكْ

إن الذى عندىَ لا يُقال إلا للملكْ

نفريت: عجِّلى إذن . قابلى أبى . أسرعى الخطى . اذهبى
وأسأليه ما شئتِ . واطلبى

نتيتاس: ما ذاك ما ذا تقــــوليـــن فكّرى يا نَفَرَتْ
ما جئتُ أطلب مالاً ولا لهـــذا حضرتُ
ولا بشــأنك يا بنــتَ آمازيس افتكرتُ

نفريت: ففيمَ إذن جئتِ يا نتيتاسُ وفى أى شأن نقلتِ القدَمْ؟

نتيتاس: أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأن جليل العظَمْ
أتيتُ لأفدى بنفسى البلادَ وأدفعَ عن مصرَ شرَّ العجَمْ
فإنكِ إن ترفضى يزحفوا كزحف الذئاب ونحن الغنَمْ
فأين أبوك ؟

نفريت: تُلاقينَــهُ هنالك فى حجرات الصَّنَمْ

نتيتاس: سأمضى إليه

نفريت [بتهكم] : اذهبى

نتيتاس: أفدى البـــلادَ نعم أنا أفدى بلادى نعم

[تخرج]

نفريت: يا ويحها قد ذهبت دعني تاسو واذهب

[يخرج تاسو]

« يدخل فرعون إلى غرفته الخاصة وهى حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« اللون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أماريس وابنته نفريت مقبلة عليه »

نفريت: سلامٌ يا ضُحى الشمس ويا غُرَّةَ آبيس
ويا حامىَ سايِس ويا حارسَ منفيس

فرعون: سلامٌ شبهَ هاتور سلامٌ شبهَ إزيس

نفريت: أبى بل نادنى يا بنـ ـتَ فرعونَ أمازيس

فرعون: تعالَىْ أقبلى يا بنـ ـتَ فرعونَ أمازيس
وفى أىّ جليل أو صغير يا تُرَى جئْت
تعالَىْ يا بْنَتى قولى سَلى فرعون ما شئْت

نفريت: أبى كُنْ لى فقد أظلـ ـمت الدنيا بعينَيَّا

فرعون: سأجْلو ظُلمةَ الدنيا وأمحوها بكفيَّا

[تغرورق عيناها بالدموع]

بِنْتَاه

نفريت: ربَّاه أبِى

فرعون: ما للأميرةِ باكيَه !

هَلَّا ادَّخرتِ لمصرعى هـــذى الدموع الغاليَهْ

نفريت : لا بل تعيشُ أبى وتبـْ ـقَى فى ظلالِ العـــافيه

أبتى تهيَّـــأَ كل شى ءٍ للنَّوَى المُتَرَامـيه

فغَدًا تضُمنَى القصـــو رُ بل القبورُ الجافيه

فى ألفِ جاريةٍ لقمـ ـبيز هنـــاكَ وجاريه

من كل مُرسَلةٍ هنـا لكَ كالبهيمـــةِ ساليه

فبـــأىَّ قلبٍ يا مليـ ـكُ تَزُفُّـــنى للطاغيَهْ

أدرِكْ فتاتَك قد ضعفْـ ـتُ عن احتمال الداهيَهْ

[تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : مَن أرى ؟ إنه لحظٌّ عظيمٌ نتتاس بنت الفراعين عندى

نتيتاس : التَّحايا لعرشِ مصرَ المُفدّى من أبى ساكن السماءِ وجدِّى

فرعون : وسلامُ الذى على عرش مصرَ لا تؤدينـــه ؟

نتيتاس : وكيف أؤدّى ؟

ليس بينَ ابنَةٍ وساقى أبيها غصة الموت من سلامٍ وردِّ

إن حقدى عليك دينٌ وبرٌّ رب لا يذهبِ العقوقُ بحقدى

فرعون : احملى الحقد لى أو اطرحيه وتمنَّىْ علىّ جاهى ورِفدى
اسألى تسألى أباك

نتيتاس : معـــاذ الدم فرعونُ ليس دنياك قصدى

فرعون : فيمَ قد جئتـنى إذن

نتيتاس : فى حقـــوق لديارى وواجب نحو مَهدى
كلُّ عامٍ صبيةٌ من بنات الشـعبِ
تختارُ للفداء فتفدِى
تنزِلُ النيلَ غيرَ عائفةٍ ما فيه للموت من حياضٍ وَوِردْ
سمحتْ بالحياة فى غير سأمٍ
وسَخَتْ بالشباب فى غيرِ زُهـدِ
تبتغى الخصْبَ والرخاءَ وتحتا لُ لعيشٍ بنعمةِ النيل رَغد
سقتِ الناسَ بعدَها لم تقُلْ قو لَ الأنانىّ: يهلكُ الناسُ بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منا أن تكونى التى تُزَفُ وتُهدى

نتيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدِّمها الكُهّانُ
لكننى تقدَّمتُ وحدِى

[مستمرة]: جئتُ أفدى وطنى من سيفِ قمبيزَ ونارِه

جئتُ أفدى وطنى من دَنَسِ الفتحِ وعارِه

فرعون: ماذا تقولين فيمَ جئتِ ؟ قمبيز؟ الفتحُ؟ مصر؟ فارسْ؟

نتيتاس: نفريتُ تأبى المسيرَ هب لى مكانَها منك يا أمازسْ

فرعون: أنت التى تذهبين ؟

نتيتاس: لِم لا ؟

فرعون: هذا هو النُّبلُ يا نتاتِسْ

بخٍ بخٍ بنتَ أخى

نتيتاس [فى استنكار]: أنتَ يا قاتلَ عمِّى ؟ ؟

لا . . . أبى . بأبى وأمِّى

فرعون: لا تدفعــى نتِيتَ بى ولا تَهِيجى غَضَبى

نتيتاس [كالمستهزئة]: تقتُلُنى مثــلَ أبى !

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون: من ذا أرى نفريت، هيا أدخلى لا تقف الأقمارُ بالباب

نفريت: تحيةُ الشمسِ لسارعِ أبى تحيةُ المعبودِ آمون

فرعون : أتيتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقبلى

تعـالَىْ أنبئْكِ الجليلَ تعـالَىِ

نفريت : أبِى لا جليلَ اليوم إلا مُصيبتِى

فرعون : ولكنَّها قد آذنتْ بزوال

نفريت : وكيف وأنَّى؟

فرعون : انظرى مَنْ بمجلسى وأىُّ رسولٍ للسماءِ حيالى

إلهٌ لعمرى فى قميص أميرة سعى للعلا يحبوعونَه وسعى لى

نفريت: نتيتسُ أختى ؟

نتيتاس [نفسها]: أُختُها ما أضلَّها متى كان بيتى مجرمينَ وآلى

نفريت [لأبيها بعد أن سمعت نجواها]

أبِى ألهذا تجمعُ اليومَ بيننا وما لابْنَةِ المَلْكِ القديم ومالى

فرعون : لقد بعَثَتْهَا الشمسُ من عرشِ مجدِها

شعاعَ هدى من حَيْرةٍ وضلالِ

تُزَفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتِى

وفى موكب من وَفدِه ورجالى

نفريت: نتيتاس

فرعون: قولى بنتَ فرعون

نتيتاس: أعفْهـــا

نفريت: ولِمْ

نتيتاس: ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالى
فلا يستوى المُلْكُ القشيبُ جلالُه
وآخرُ مخلوعُ الجـــلالةِ بالى

نفريت: أحقٌّ نتيتا ما رَوَى المَلْكُ

نتيتاس: ما رَوَى . أبوكِ صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

نفريت: رويداً نتيتــا راجعى الرشدَ إنّما
تُضحِّين يا أختى بأنفس غـــالى
تُضحِّين بالدنيا الجميلة والصِّبا وهذا الفضاء السافر المُتَلالى
أحقٌّ عقدتِ العزمَ ؟

نتيتاس: بعد رويَّة وأقنعتُ نفسى بعد طول نضال
ومالىَ لا أعطى الحياة إذا دعتْ بلادى . حياتى للبلاد ومالى

« ستـــار »

المنظر الثـــانى

« حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»
« الملك أمازيس ، هنا وهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون »

رئيس الوفد: لقـــد جُلتُم فى بلدة العجل جَوْلَةً
وما بَرِحتْ بالزائرينَ تُجابُ
فكيف وجدتم قدم فرعون؟

قبـــاذ : أمـــةٌ
إذا هىَ قيستْ بالشعوب عُجابُ
لهم مثلَ ما للأُسدِ بالجنس عِزَّةٌ
ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ
هُم الشهبُ والناسُ الجنادلُ والحَصى
وتِبرُ الثَّرى والعالَمُون تُرابُ
وكلُّ الذى صاغُوا من الفنِّ آيةٌ
وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبنا إليهم أمس بنتَ مليكهم

فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ

وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ

دعاها إلى الوكْرِ السحيق عُقابُ

[ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين]

تأمَّل (قباذُ) القومَ وانظر وجوهَهم

وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ

ألستَ تراهُم كلّما نقّلوا الخُطى

لهم جيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ

قبـاذ : ولكنهم ما قصَّروا عن ضيافةٍ

طعامٌ ونُزْلٌ طيِّبٌ وشرابُ

وخمرٌ فنيقيٌّ بأيدي سُقاتِها لها نفحةٌ مسكيةٌ وحُبابُ

وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهم

إذا لم تَضق ساحٌ لهم ورحابُ

« وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقاً له »
« في ناحية أخرى من الحجرة وكان عائداً هو أيضاً من المدينة »

الرجل : زفيروس ؛ من أَيْنَ ؟

زفيروس: من جولة بمنفيس

الأول : كيف وجدت البلْد ؟

وكيف احتقارهم للغريب إذا قام فى شأنه أو قعد

وكيف عيونهم حوله إذا حملته احتمال الرمد

زفيروس: وجدت وجوهاً عليها النعيم ودنيا على جانبيها الرغدْ

وسوقاً تفض وسوقاً تقام وخلقاً يروح وخلقاً يفد

وشعباً على خطة فى الحياة ونظم به فى الشعوب انفرد

ولم أر مثل صناعاتهم سمواً وبعداً على المنتقد

ولا مثل أخلاقهم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشد

إذا مر يافعهم فى الطريق بشيخ تنحى له أو سجدْ

الأول : تباركت النار. كلت المديح لمصر جزافاً ولم تقتصدْ

زفيروس: أخى ما الذى أنت ناع على وما قلت إلا الذى أعتقد

الأول [مبتسماً] :

لقد سحرت مصر الفارسىّ ويا طالما نفثت فى العقد

ولكن زفيروس كيف الجنودُ

وكيف الحديدُ وكيف الزّردْ

وهل كنتَ تلقاهُمُ فى الطريق

وتنظُرُ أظفارَهم واللبَدْ

زفيروس: أخى ما رأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد

سوى فتيةٍ من جنود القصور وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ

يروحونَ فى الخُوَذِ اللاّمعات

ويغدون فى الذهب المتَّقد

الأول : إذن هو مُلْكٌ بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العَمَدَ

خلا الوكرُ من صرخات العُقاب

ونامت عن الغاب عين الأسدْ

أولئك لا فى حماةِ الديارِ ولا فى العديد ولا فى العُدَدْ

طواويسُ فى عرصات القصور

تروقُ تهاويلُها من شَهد

ولا يعجبنّكَ سلْمٌ يرفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبدْ

وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيش الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنةٍ هى الخُلْدُ أو طيفُه فى الخَلَد
يَهُبُّ عليها غداً عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشّى حَصَدْ

ثالث متدخلا: صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غداً يعصفُ الفُرسُ أو بعد غَدْ

أحدهم لآخر: أعلمتم ماذا يُرَدَّدُ فى القصـ ـر وماذا يقالُ همساً ووحْيا

الثانى : ما يقولون هاتِ قلْ
كيف صدتَ الـ ـسـ ـرّ فى القصر كيف صدتَ النَّجِيّا
هاتِ قـل ما بأرض مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيـا وسائرُ الأرض دُنيا

الأول : هم يقولون إن بنتَ أمازيـ
ـسَ عروسَ المليك تأبَى المُضِيّا

الثانى : هازلٌ أنتَ ؟

الأول : بل سمعتُ حديثاً إن يكنْ مُفتَرَى فماذا عليّا؟

آخر : إنه يَهْـذِى دعوهُ كاذبٌ لا تسـمعوه
ما الذى زخرَف

الثالث : ألتى كِذبَةَ الأجيـال فوهُ
يزعم المَلْـكة نفريـ ـت ابنةَ المَلْكِ أمازسْ
ترفُضُ السيرَ مع الوفـ ـدِ إلى أقطـارِ فارس
آخر : ما خطُبـه ما يدَّعى امض بنـا لا تسمعِ
آخر يقول : فرعونُ مِصـرَا لم يرض قمبيزِ صِهرْا
الثانى : مَنْ أمازس ما الأميرةُ ما مصـ
ـرُ أفى الأرض من بقمبيزَ يهزا
آخر : أهـذا خـبرٌ يُروى غَـبىٌّ أنتَ واللّـه
أتحتَ القُبـةِ الزرقا ءِ من يسخَرُ بالشاه
الأول : اعـزبوا مالكم ولى قلِّلـوا الشتمَ والسّخَرْ
ما الذى قد أتيتُـه ؟ ناقلُ الكفرِ ما كفرْ !
خبرٌ قيـلَ قد يصـحُّ وقد يكذب الخبَرْ
أحدهم : ياصحبُ كيف تُرى تقضون ليلَكمُ
وكيف نومُكمُ فى هذه الدار

آخر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوّفَ بى

شتّى الخيالات من سحرٍ وسحّارِ

وأنت ؟

الأول : يغشى الكرى عينى فيصرفهُ

عنها خيالُ تماسيحٍ وأثوار

من النّوابيت حولى كلُّ منتقلٍ

بغير رجل ولا ساقينْ دوّار

يُجيلُ من خلفها الأمواتُ أعينَهم

كأنها فى الدُّجى أحداقُ أثمارِ

ولا تزال بىَ الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغاز وأسرار

آخر : أما أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى

عوّذتُ نفسى قبلَ النوم بالنار

فلا يطوفُ من الأرواح بى شَبَحٌ

من خيّرِينَ وإن جلّوا وأشرار

آخر : هيّاً اسمعوا ما رأيتُ أمس

آخر : ما ذاك ؟

الأول : صَهْ تكلموا بهمسِ

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنس أقبلَ حتى صار عند رأسى

فما ملكتُ عندَ ذاك حسّى

آخر : ثمَّ ؟

الأول : صحوتُ فوجدتُ نفسى منطرحاً أغط فوقَ كرسى

آخر : وأنا ؟

ثان : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعَجَبا مما رأى صاحبُكم واغربَا

رأيتُ أبيسَ أتى مضاجعى فهزَّها بقرنِهِ وقلَّبا

ثم رأيتُ

الثانى : ما رأيتُ ؟

الأول : حدقا تقلَّبتْ فى الليل تحكى اللَّهبا

آخر : ثمَّ ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسٌ؟ قلتُ نعم. فقال لى لا مرحبَا

آخر فى دهشة: يا عجبا العجلُ قد كلَّمه يا عجبا

[يدخل تاسو حارس فرعون]

تاسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكمُ بنتُ فرعونَ ستأتى بعدَ حين

تتلقّاكم بما يَزكُو بكم من تَحايا وتجيبُ الخاطبينْ

رئيس الوفد: أيها السَّيد تاسو أدنُ منا مرحبا بكْ

غِبتَ عنا زمناً حتى اغتَمَمْنا لغيابكْ

لم تَسَلْ عنا ولم تبْعثْ رسولاً من صِحابِكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا العطفُ قد أثَّرَ فيَّا

أنت لا تجهلُ من أنظمة الدِّيوانِ شيَّا

شرَفُ الخدمةِ لا يجعلُ وقتى بيديَّا

فارسى [لآخر بصوت منخفض] :

تاسو ؟! ومن تاسو ؟

الآخر : فتًى فى القصرِ مرمُوقٌ جميلْ

نَدْمان فرعونٍ وصاحبُه وحارسُه النبيلْ

ويَميلُ فرعونٌ إليه وبنتُه أيضاً تَميلْ

[حارسان يدخلان فيصيح أحدهما]

الأول : الملكُ فرعونُ سارعْ

الثاني يردد : الملكُ فرعونُ سارعْ

« يدخل الملك والأميرة نتيتاس وكبار الكهنة »
« المصريين فيجاس الملك والأسرة ويقف تاسو »
« وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مِصرَا
وسلامٌ من عاهلِ الأرض كسرى
رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا
نَكَ يوماً ولا اهتمامَك شكرا
قد خطبْنَا إليكَ زنبقَـــةَ الوا
دي وأعلَى عقائلِ النيل قدرا
نحمِلُ الشامَ إن أردتَ صداقاً
ونسوقُ العراقَ إن شئت مَهْرا
ونُزَجِّي الكُنوزَ من قيِّم اليا
قوت والدُّرِّ والزُّمُرُّد تترى

إنهـا فارسٌ وإنا لنرجو

أن سترضى بها حليفاً وصِهرا

فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُمْ أجبْ عنىَ الدهاقينَ تاسو

تاسو : سيدى من أكونُ ا مولاىَ . عُذْرا

نتيتاس : أبَتِى أعـفِهِ

ثم إلى تاسو: مكانكَ تاسُو أنا بالفصل فى مصيرىَ أحرَى

نتيتاس [إلى الوفد الروسى] :

مرْحباً وفدَ فارسٍ رُسْلَ قمبيزَ مرْحبا

قد تأخرتُ عنكم وأطلتُ التحجُّبا

ونهانى مُطَبِّبِي فسمعت المطبِّبا

خبَّأونى لوَعْكة ومن البرد يُخْتبا

لم ير الناسُ صاحباً كالعَواقى مُحبِّبا

رئيس الوفد: اشكرى اللهَ يا ابنتى واذكرى فضلَ ما حبا

كم سألنا فجاءنا بالذى طمأنَ النَّبا

أمازيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :

ما لها تاسُ أطنَبتْ ولذا الشيــــخ أطنبا
تركا خِطبــــةَ الزوا ج وقاما ليخْطُبا

نتيتاس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساءه والدى من كلامى وأغضَبا
ما لِفرعونَ ساخطا ولِتــــاسُو مقطِّبا

فرعون [بصوت منخفض] :

اجْعلى القصد يا ابنتى لكِ فى القـــول مَذْهبا

نتيتاس للوفد: قد دعوتم أبى لِمـــا يرفـــعُ البنتَ والأبا
إن فرعونَ كوكبٌ صاهرَ اليومَ كوكبا
اذكُروا لى مُقامَكم أتُرى كان طيِّبا
أيهـــا الوفدُ قلَّمـــا صَاهرَتْ مِصرُ أجنبـــا
مرحباً وفدَ فارس

الملك [بصوت منخفض] : شَبِعَ الوفدُ مرحبـــا

نتيتاس : أنا إن عشتُ شِدتُ للـ نـــار بيتاً مطنَّبـــا
فى عيونِ الوهادِ مِنْ فارس أو عـــلى الرُّبا

كلما لاحَ ضوؤُه هزّتِ الأرضُ منكبَا

رئيس الوفد: هَلِّلِي باركى يا نارْ على بنتِ الفراعين

ويا فارسُ هاتوا الغارْ وجيئوا بالرياحين

وحيُّوا زوجةَ الجبارْ على كل السلاطين

[وينثر الفرس الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنون]

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركْ فرعونَ فى العُرسِ

تعالَ طفْ باركْ فى ملكةِ الفُرس

٭ ٭ ٭

نَحِّ الشياطينَ وانفِ العفاريتَ

واحرسْ بعينَيك موكبَ نفريتَ

٭ ٭ ٭

آمونُ هيّ اشترِك فى عُرْسِ بنتِ الملك

وقُم إليها كَلِّل براحتَيْك رأسَها

واشهد بمصرَ واحتفل بفارس أعراسَها

« ستار »

المنظر الثـــالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من »
« ورق البردى وأغصان الزيتون ، وصفت الأزهار والرياحين »
« هنا وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة »
« والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسى »
« فى ملابسهم الفارسية الفاخرة وبرجال الحاشية وخدم القصر »
« من الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم وفتيان النوبيين ، وقد »
« وقف قهرمان القصر يصرف الوصفاء والخدم ويسخرهم فى شؤون »
« الوليمة وقد مدت الموائد الضخمة وجعلت عليها ألوان الطعام »
« المختلفة من خراف مشوية وباردة وبط صيد ، ومن سمك النيل »
« ومن الحلوى بأنواعها ، وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهنـــاك »
« أباريق الذهب والفضة المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة »
« فرعون أمازيس وبجانبيه وأمامه كبار رجال الوفد الفارسي »
« وعظماء رجال الكهنوت والدولة . وينتشر الآخرون على جنبات »
« المائدة يتحادثون جماعات جماعات . »

فارسى لصاحبه :

فيروزُ أنظر ترى الخرافا حُمراً لطافاً على الخِوان
ذا سمكُ النيل فى الأوانى كأنه مِعصَمُ الغـــوانى
وأعينٌ تلك فى جُفون أم ذلك البطّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كلّا ولم تُرحِّبْ بخمر ساموسَ فى الدّنانِ

وخمرِ فينيقيا المصَفّى كأنه ريقةُ الحسانِ

فيروز : وخمر مصر فى قصر فرعو نَ

ثالث : تلك مجهولةُ المكان

الأول : فيروزُ ، دَعْنى خَلّنى الخمرُ ليستْ دَيْدَنى

من خمر آتينا وسا موس ومصرَ أعْفنى

الأكل يافيروزُ شغـ لى وبه تَفَنُّنى

تشربُ والبطنُ خلِ ؟ يا لكَ من مُغفَّلِ ؟

كُل هَىْءٍ يا فيروزُ كُلْ

هذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانب حَمَلْ

هذا شُوِى هذا قُلِى

والبط فى الأطباقِ بطْبَط فى الرقاقِ

من رأْسِه للأرجل

ثالث : وهذه الإوَزّ رجْرَاجَةٌ تَهْتَزُّ

قد طُيِّبَت بالتوابلِ

فيروز [للأول] :

أخى كلانا قد صدَقْ فمـا لنا لا نتَّفقْ

آ كلُ ما تأ كُل من طعام ونحْتَسى معاً من المُـدام

الثالث : هذا لَعمرى مُحكمُ الكلام

فرعون [إلى رئيس الوفد] :

سيدى لو تقولُ لى كيف قمبيزُ والقـدَحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملكٌ كله مَرَحْ

ليس تخلُو قصورُه من سرور ومن فرَحْ

فارس آخر: لكن له شُغُلٌ عن الـخمرِ بطُولِ غَزوتهْ

فرعون : أينَ تُرى يشرَبُها

الفارس : يشربهـا فى خوذته

كعبـده ابن أمَتِه

« ويخلع الفارسي خوذته ويصب فيهـا خمراً ويشرب »

« بعض صغار رجال الوفد الفارسي يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم :

ليتَ شعرى فلستُ أدرى إلى أي بلاء قمبيزُ يدفَعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً وملكناه من عُباب ويابسْ
اتسعنا من الفتوح

آخر : يقيناً غيرَ أنَّا لم نفتكر بالحارسْ
خَلِّ « مانى » عنك السياسة دعْهَا
خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ
إن شرق البلاد ضيعةُ قمبيـزَ وغربَ البلاد حقلُ أمازس
سائسُ العالمين أسعدُ منه رجلٌ للحمار والبغل سائس

ثالث : أنظر الحفلَ « بهارٌ » استخفتْه الكؤوسْ

رابع : وفدُ قمبيزَ وهذا ملكُ مصرِ أمازيسْ
ذهبُ الأرضِ عليهم غَرِقَتْ فيه الطقوس
ساسةُ الدنيا وكلٌّ غيرَهم فيها مَسُوس

الثانى : خَلِّنا بالله من ساسٍ ودَعْنَا مِن يسوس
لِمْ نَظَلُّ الدهرَ مرءوسينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ « مانى » لا أنا رذْلٌ ولا أنتَ خسيس

الأول: كلُّ ما أعجبَ كسرى فهو فى الفُرسِ نفيسْ

كلَّ حينٍ حاكمٌ يمـ ـشى علينـا ويدوسْ
هكذا يختلـف الحـظُّ سعودٌ ونُحوس
إنَّ بعضَ الناس أذنا بٌ لبعض هُمْ رؤوس
منزلُ الأُسدِ الصحارَى وعلى المرْعَى التيوس

الأول : لِمَ يا «مانى» يسودُو نَ ونبـقى لا نسودْ
ونُقادُ الدهْرَ والآخـ ـرُ يا «مانى» يقـود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجزُ الرأى بليـد
هـذه الدنيا لِمَن يُقدمُ فيهـا أو يُريد
سنةُ الكونِ وما عن سنةِ الكونِ مَحيد

آخر : أنا يا «مانى» طموحٌ أنا لا أكتُمُ عنكا
أنا فى الدنيـا وفى زينتها أرغبُ منكا
أنا أهوَى سَعةَ العيـ ـش ولا أرضاه ضنْكا

الأول : إرْضَ بما كان وما يكونُ أو فانْقَلق
وهيّ نشربْ قَدَحيـ ـنِ أو فَهَيّ انطلق

أحدهم : القـدَحَا ، القدحَا الخمرُ تنفى التَّرحا

قصراً أرى أم فَلَكَا وشجراً أم قُزَحَا *

وغادةً تسقى أم الظبيةَ أم شمس الضحى

وخوذاً على رؤوس فارسٍ أم الرَّحَى

القدحَا القدحا هاتوا الشعاعَ المُفرِحا

هاتِ السَّنا هاتِ القَبَسْ هاتِ الشَّذا هاتِ النَّفَسْ

هاتِ سراجَ المِهرجانِ هات شمعةَ العُرُسْ

هاتِ ابنةَ الشعاعِ والظلِّ ابنةَ العَذْبِ السَّلِسْ

أحدهم [لرئيس الوفد] :

مولاى ألقِ السمعَ وابعثِ النَّظَرْ

ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهاراً » قد سَكِرْ

الأول : فتاكَ غنَّى و فتاىَ قد شَعَرْ

الرئيس : وما الذى ضَرّ ؟

الأول : صدقْتَ لا ضَرَرْ

(*) قالوا : إن قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأساً فى فصله لسهولته وكفاية دلالته .



نتيتاس [إلى نفريت أمام فرعون أمازيس] :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى : حياتى للبلاد ومالى

الرئيس : ونحنُ ما نصنعُ ؟

الأول : شُربٌ وسَمَرْ

الرئيس : ونحنُ أيضاً بَشرٌ وهُمْ بشَرْ
فليشربوا من ها هنا إلى السَّحَرْ

أحدالشبان: رئيسَ الوفدِ لا زلتَ لما يَرفَعُ تُختارُ
ولا ساواك دهقانٌ ولا داناك أسوارُ
وغَالَى بكَ قمبيزٌ وحلّت جسْمَك النارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر وبيده مومياء من الذهب »
« يعرضها على الضيفان ، ووراءه رجل يقول ويكرر ... ... »

المُوميَا طُوفوا بها واتعظوا بخَطْبِهَا
لا تسألوا ما هي منْ؟ نكَرَها طولُ الزَّمَنْ
هَيَّا كلوا هيا اشربوا هيا اسمعوا هيَّا اطربوا
تمتعوا بالفانيهْ قبلَ الحياة الثانيهْ
خُذوا المُدامَ الصافيَهْ قبلَ انكِسار الآنيهْ

فارسى لآخر: خورشيدُ هذا هوالبلاءُ كلُّ أحاديثِهم فناء

خورشيد: روايةالموت حيث راحوا ورقصة الموت حيث جاءوا

[يقترب تاسو من نتيتاس فى ناحية أخرى من البهو ويقول]

تاسو : نتيتاسُ ألاَ كاسُ ألاَ شكوى ألا عتْبُ
أيُنْسَى فى سُويعاتٍ ويُطْوى ذلك الحُبُّ

نتيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلقْ له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبي ؟

نتيتاس : لقد أحسنـ ـتَ لكن لى أنا الذنبُ
أنا أحبَبْتُ عابثا سادرَ القلب جافيا
يَعشَقُ الجاه والغنَى لا يحبُّ الغَوانيا

(مستمرة) : أنْتَ كالنِّعْمة من قصر لقصر
أنت كالنَّحلة من زَهْر لزَهر

(مستمرة): أعَدَت الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُو العهد من الناكث
لعبتَ بي فيما مضَى عابَثا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابث
أقسمْتَ لى فاذهب فأقسم لها
فأنْتَ أهْلُ القسم الحانث

أحببتَ بنتَ الحيِّ حتى قضى والْيومَ أحببتَ ابنةَ الوارث

كم مجلسٍ كان لنا ثالثٌ فيه وقد تَعْمَى عن الثالث

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يا مُدَّعى والحبُّ حربُ الظالم العانث

[يعرض عنها تاسو ويبتعد]

نتيتاس [لنفسها] :

مضى الغادرُ لم يَشْعُرْ بما حَمَّلَنى الغدرُ

ولا رَقَّ له نابٌ على جُرحى ولا ظُفُرُ

تكلمتُ فلم يسمع وأنَّى يسمعُ الصخرُ

لقد غامرتُ فى تاسو وتاسو فى الهوى غمرُ

كم استشفيت بالسِّحْرِ فما عافانىَ السحرُ

وكم ناديتُ آبائى فما لَبَّانى النَّصْرُ

وكم جئْتُ إلى الصَّبْرِ فما أوانىَ الصبرُ

جزاءُ المُعْرِض التَّيَّا ه منك الصدُّ والكبرُ

هَبيه نَأت الدار به أو نزَحَ القبرُ

هِيَ معرفة الفساد ر لم يأت بها الدهرُ
أقِلِّى شُغُلَ الفكر فقد أتعبَكَ الفكرُ
هَبيه مرّت السنُّ عليه ومشى العمرُ
فلم يَبْقَ له نَهْىٌ على الغيد ولا أمرُ
ولم يبق له فى البا ل تمثالٌ ولا ذكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهى متنكرة »
« فى زى يونانى ، ويقول لرجل بجانبه ... ... »

المدعو : مَن المرأة ؟

آخر : مَنْ ؟

الأول : تلكَ تَراها مثل طاوُس
تراها مع كالياس

الثانى : وَمَنْ ؟

الأول : وارثُ فانيس

أمير الجيش فى مَنْفٍ وأسوانَ وسايِيس

الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهـ رُ فى أغرب ملبوس

فهذا الوجهُ مصرىٌّ وهــذا الزِّى سامُوسى

[رجل فارسى لآخر يدعى قباذ]

الرجل : انظر قبـاذُ ما ترَى ؟

قباذ : أحسنَ شىء منظـراَ

حمامةٌ تُطارحُ الـشـجوى حماماً ذَكرا

يا ليت أذنى سمعَتْ من الحديث ما جرَى

الأول : دعنى من ذكر الهوَى إنَّى مُذْكنتُ لم أعشَقْ ولم أُعْشق

قباذ (فى تهكم) :

وأنت كالناس امرؤٌ عائشٌ تلك لعمرى عيشَةُ الأحمق

الأول : قبـاذ قـد عرفتُه ذلك تاسو الحارسُ

قباذ : الحمـد لله عـلى أن لم تحزهُ فارسُ

إذن لهامَتْ كاعبٌ بحبِّـه وعانِـسُ

[تاسو يقترب من نفريت]

نفريت : تاسو هنا ؟ هات اسقنا

تاسو : لبيَّـْك يا ذاتَ البهاءْ لبيْـك يا بنْتَ السماءْ

يا ليتني كنتُ الرَّحيـ ـق وليتني كنتُ الإناء

[ويناولها قدحاً]

نفريت : تاسُ ، منْ أينَ ومَنْ كنْتَ من الغيد تُحَدِّث ؟

تاسو : كنتُ أجامِلُ الضيو فَ وأُلبِّي المـليكا

فعـارضتني نتيتا سُ فى خلال ذلكا

نفريت : وما الذى قلْتَ لها تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَت لذكر حبِّنا القديم وعطَفَتْ على الهوى الذَّميم

وطال العتابُ

نفريت : وطال السِّبابُ

تاسو : بحق الحبِّ نفريتُ أقِلِّى الشغلَ بالأُخرَى

ولا نلْقِى لنا نيتا س لا بالاً ولا فكرا

غداً تخْلُو لنا مِصرُ غداً يصْفُو لنا القصرُ

غداً ترحلُ لا أرْجـ ـعها البَرُّ ولا البحرُ

نفريت : مالكَ تاسُ ولها خَلِّ الفتاةَ خَلِّها

لله ما أعظمَها عِندى وما أجلَّها

قد أظهرَتْ أمس أمـ ـسامى فضلهَا ونُبْلهَا

تاسو : ما فعلَتْ ؟

نفريت : ما أنتَ مَنْ ؟ يَقـدُرُ تاسُ فعلَهَا

ألم تصبرعن الوطن المفَـدَّى وتسمَحْ بالدِّيارو بالشبابِ

وترضَ بأن تُزَفَّ غداً مكانِى إلى النمرِ الأمير على الذئابِ

تاسو : صه نفريتُ صهْ لايسمعون فتلْقَ مصرُ أنواعَ العذابِ

« فى ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »
« صديقها خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالياس ... ... »

منا : انظر أحامسُ

أحامس : ماذا ؟

منا : فرعونَ بينَ صحـابِهْ

أحامس : وما ترَى من عجيب ؟ ماذا بفرعونَ ما به

منا : أنظر تجده إلهاً فى عبقرىّ ثيابه

أحامس : لا تُلقِ بالاً إليه ولا إلى أذنابِه

غداً يصبُّ عليهم قمبيزُ سَوْطَ عذابِه

منا : أحامس ، استغفر لما قلتَه فالُ الشياطين ولا فالك

أحامس: قد كنتَ مثلي يا مِناساخطا تلعَنُ فرعون فما بالُكْ

[ثم مستمراً] :

تأمَّلْ القصرَ مِنَا وانظره أرضاً وسَما

أنظر ترى الإغريقَ فيه هُمْ لفيفُ العُظَما

أنظر تجدهم كلُّهم يلقونَ العجما

منا : ماذا على فرعونَ أنْ رعاهم وقدما

أليس للضيفِ على ضائفه أن يُكرَما

أحامس : وصاحبُ الدار إذنْ لا يتعدَّى السُّلَما

خوفو : ماذا أثار الصاحبيْن لِمْ وفيما اختصَما

أحامس : كنْ مُنْصفاً إن رُمْتَ يا خوفو تكونُ الحَكَما

تأملْ القصرَ خوفو أفيهِ من مصرَ شئٌّ

ألَيْسَ فرعونُ فيه كأنه أجنبيٌّ

فأين حفارُ مصرٍ وفنَّه العبقريُّ

والجيشُ خوفو !

خوفو : خذ الحذر يا منا يا أحامِسْ

كالياسُ آتٍ إلينا

منا : وَمَنْ ؟

خوفو : خليفة فانسْ

أحامس : اليومَ كالياسُ وأمس فانسُ

احتكرَ القيادةَ الأبالِسُ

[ويقبل عليهم كالماس]

فرعون أمازيس [لتاسو] :

أين أقزامىَ ؟ إمض جئْ بأقزامِى تاسُ

[يدخل الأسراء فى أزياء المهرجين ، فيقولون] :

تحياتٌ لفرعونَ سلامُ الشمسِ للملْكِ

سلامٌ قائدَ الخيْل سلامٌ حامِى الفُلْكِ

قهرمان القصر [للأقزام] :

هلِّلوا رقصَةَ الحورِ إذا طُفْن بهاتور

سماءِ العزِّ والنُّورِ

أحدالأقزام: نحنُ القزم أنصافُ ناسْ

ناسٌ وبالشبرِ نقاسْ

ثانى : نحنُ الدمَى واللُّعَبْ بنا يتمُّ الطربْ

ثالث : هلمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهف إلى الكهفْ

ودُورُوا كالتماثيل من الرَّفِّ إلى الرفِّ

آخر : ثِبى جُثث على الجدث ثِبى ثِبى

حَبْوَ الصّغار على اليدِ والرُّكبِ

هيَّا قِفى هيَّا ازحَفى هيا العب

هنا الطعَامُ هيَّا كُلى هنا الشرَابُ هيا اشربِى

آخر : تعالَ يا دهقانْ ارقُصْ معى

وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطلع

واقتَبسَا الأنوارَ من مسارع

الجميع : عِش يا ملك مع الزمنْ

مطَوِّقاً مِصر المِننْ

وذائداً عن الوطَنْ

[ثم يكررون عش يا ملك . . وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

يا وُجهاءَ الفرس قالوا لكم مصْرُ بلادُ السحر والساحر

فرُبَّما سَرَّكُمُ أننى أجيئكُم بالساحر القادر

(وينادى): حوتيب

حوتيب : لبَّيْكَ سارعْ

فرعون : تَعالَ لَـهُ الضيوفا

حوتيب : سادتى إنِّىَ فى الكفِّ وفى الجبهةِ أقرا

أنا أقرَا لكَ حظًّا أنا أقرا لك عمراَ

أنا الذى بسحرىَ المبينِ أستطلعُ المكتوبَ فى الجبينِ

فرعون (إلى تاسو) :

تاسو اقْترِبْ

تاسو : لبيكَ ياسارعْ

فرعون : لِمْ أجلبُوا ماخطْبُهم ما الداعى

(ضجة وهمس)

فرعون (مستمراً) :

وفيمَ هذا الهمْسُ والتَّداعى

تاسو : مولاىَ إن الوفْدَ فى ارتياعِ

تاسو (فى أذن الملك) :

انقلبتْ عصيهم أفاعِى

فرعون : يا لحوْتيب من فتى صناعِ

رئيس الوفد:

للّه درُّ الساحرِ هذا من العباقر

حوتيب : أناةً وقدفارسُ لا تراعوا ولا تحصُوا دعايا تى عليًّا

خذوا اقضبانكم وتأمّلوها لقد عادتْ كما كانتْ عصيا

فرعون : حوتيبُ قد سرَّ ضيو فى أن يروْا ويسمعوا

فزدهم فعندك السحرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعون هذا شرفٌ يطيرُ بى ويرفعُ

أصنعُ ما كان ددا الساحرُ قبلى يصنعُ

فرعون : وما الذى تصنعُ ؟

حوتيب : جيئونى برأسٍ يقطعُ

فإننى أردُّه لجسمه وأرجعُ

فمن من الوفد برأ سه إلىَّ يدفعُ

رئيس الوفد لرجاله :

هل منكم يا معشرَ الفرسِ بطَلْ
عن رأسه لساحرِ النيل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافَنَّ أحــدْ
فكلُّ رأسٍ ســيُردُّ للجسدْ

أحدهم : رأسىَ غــيرُ هــيِّنِ

ثان : رأسى عمــودُ بــدنى

ثالث : رأسى لــدَىَّ غالى رأسىَ كلُّ مــالى

فرعون : حوتيبُ ما من أحدٍ هانَ عليــه رأسُه
أنظر إليهم.. كلهم عَــزَّتْ عليــه نفسُه
خلِّ حوتيبُ الناسَ واخــتَرْ غــيرَهم للتجربه

حوتيب : مُرْهُمْ إذن أن يُحضروا إوَزَّةً أو أرنبــه

فرعون (لتاسو) :

امض تاسو جىءْ حثيثاً بإوزٍّ وأرانــب

«يخرج تاسو ثم يعود ببضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
« ويقول : شالهبدشالهبد لا يعجز السحر أحد يا رأس عد إلى الجسد »

الفرس : تعالتْ قدرةُ النارِ

المصريون : تعال الربُّ آمونُ

فرعون : هيّ حوتيبُ إمْش بينَ الصُّفوفْ

وطالع الجبْهاتِ واقرأ الكفُوفْ

حوتيب : برأسِ منْ أبدأْ مُرْنى يا سارَعْ

فرعون [مبتسماً وملتفتاً لتاسو] :

برأس تاسُو اقرَا ما فى جبينه

وبيِّن المحجوبَ من شئُونه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هذا فتىً باطنُه جمادُ

ليس وراءَ رأسه فؤادُ

رأسٌ عليه وقف الجلاّدُ

تاسو : إخسأْ كذبتَ وضلَّ سحرُكْ

فرعون : ورأسى ياحُتيب ألا تراهُ ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفنى مولاىَ عنه

فرعون : تعالَ حُتيب

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبو العينُ عنه
يا عجبا ماذا أرى ؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دمٌ جرَى

فرعون : دَمِى أنا ؟

حوتيب : لا سيدى عُوفيتَ . بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجرى كالمطر ما هَمَّنا دَمُ البَشَر
إذا سلِمْتَ يامِلكُ فليَهلكنْ مَن هَلَكْ

كاهن لآخر [بصوت منخفض] :

إنَّ هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقاً وفيه أيضاً غباوَه

فرعون : وبعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانٌ يَشيبُ من هوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ ياحوتيبُ فيها

حوتيب : سِواكَ يا مولايَ يَصْطَليها

فرعون : وابنى بساما يا حوتيبُ ما ترى ؟

هل يشهدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ أنا لا أقرأُ إلا فى الجبين

[قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول] :

القهرمانة : قُمْنَ إلى اللهو ياعَذَارَى وخُذْنَ صَنْجاً وخُذْنَ دُفّا

واهتِفْنَ بالشِّعر والأغانى واقطعنَ ليلَ الشبابِ قصفا

* * *

وانْشدْنَ مع القومِ نشيدَ الملكِ العالى

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]:

النشيد : فرعونُ أنتَ الرفيعُ أنتَ العظيمُ الشأن

وأنتَ سدٌّ منيعٌ من جارف الفيضان

* * *

وأنتَ كالصّخر تحمى من نكبات العواصفْ

مِن قاطعِ الطرقِ يأوى إلى حِماكَ الخائفْ

* * *

وأنتَ من صخر طيبه حِصنٌ مشيدُ الجدارِ
يُؤوَى إليكَ ويُلجأ إلى طلوع النهار

* * *

أنت اخضرار الرِّيف وأنتَ حُسنُ الرّفيف
تَردُّ بطشَ القوىِّ وفتكَهُ بالضعيف

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق »
« المدعوون على إثره ولا يبقى إلا نتيتاس»

نتيتاس [لنفسها] :

أفيقى بنتَ فرعونٍ فما يَزْكُو بك السكرُ
غداً تَذْرو رياحُ الفر س من موتاك ما تذرو
غداً يُصبَغ من شَطٍّ لشطٍّ بالدَّمِ النَّهرُ
غداً يُهتَكُ عن أربا بكِ المحرابُ والسترُ
فما تاسو وفتيانٌ كتاسُو فى الحِمى كبر
هم النّحْلُ وإن هابُوا لقائى وأنا الزهرُ
يموجون بساحاتى ويَزْهو بهمُ القصر
ولكن بينَ جنبىَّ هوىً أولَى به مِصرُ

« ستار »

الفصل الثانى

فى مدينة سوس الفارسية

«فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد»
«من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين»
«الكريمة ، الملكة ووصيفتها تتى فى الحجرة المذكورة»

الوصيفة تتى [وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تباركَ الذى خلقْ أقولُهــا ولا ملقْ
ذائبٌ أمِ الدُّجى وَمفرقٌ أم الفَلَقْ ؟
غدائرٌ فى الكَتفيـ ن أُسْدلتْ وفى العنقْ
كأنها من الحريـ ر الأسود الخيط شُقَقَ
لم يَخلُ جوُّ فارسٍ مُذْ ضَمَّهَا من العبقْ

الملكة : ما تصنعين يا تِتى ؟

تتــا : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لمنْ ؟



الوصيفة تتى [وهى تصلح رأس الملكه وتمشط شعرها]:

تبارك الذى خلق   أقوطها ولا ملق

تـــتى : للزوج يا ســـيدتى

الملـكة : لنمر الفُرس الخشنْ

تـــتى : هَبيهِ ذئباً مَلْكتى أو نمراً أو كَركدن

أليسَ للأزواج تَلْبَسُ النساءُ ما حَسُنْ

الملـكة : (ملتفتة إلى وصيفتها تتى) :

قلت حقاً تتى فإن على المــرأة للزوج أن تكون أمينهْ

وعليها ألا تُقصِّرَ بشراً حيث تلقاهُ أو تقصِّرَ زينه

تتى الوصيفة : بل تحلَّىْ مليكتى والبَسى حُـــلَّةَ البهاءْ

وافتنى مَنْ بفارسٍ من رجالٍ ومن نساءْ

إن كسرَى وقومَه كلُّهم فى الهوى سواءْ

أنت كالشمس فى الضحى فانشرى الحُسْنَ والضياءْ

لا على القصر وحدَه بل على الأرض والسماءْ

الملـكة : يا لك من وصيفة مُمَلِّقَهْ

عارفةٍ بالجُمَــل المنمَّقهْ

الوصيفة : لقد وضعتُ ذهباً فى البوتقَهْ

ولم أصف بالطيب إلا زَنْبَقَهْ

وقلتُ عن شمس النهار

الملكة : مُشْرِقَهْ

(ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال فجأة)

(ثم تتغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها)

الملكة (فى نفسها) :

يا ظالماً أحبُّه جهد الهوى وإن غدرْ

ومن هجرتُ وطنى لأجله حينَ هَجَرْ

قلبُك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حَجَرْ

لم يتَنَصَّلْ مرةً مما جنى ولا اعتذَرْ

جسمٌ كسلسال الصَّفَا على فؤادٍ كالصَّخَرْ

وَزَهَرٌ أنتَ وتلـ ـك النفسُ أفعى فى الزَّهَرْ

لم تجن يا تاسُ علىْ إنما جَنَى الْقَدَرْ

ذنبك لا يُغْفَرُ إلا أنَّ قلبى قد غَفَرْ

إن غبتَ عن عينى فأنـ ـتَ فى سوانح الفكَرْ

أراكَ كلما رأيـ ـتَ طائرينْ فى الشجرْ
وكلما بدتْ لىَ الـ شمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الريا ضَ ووقفتُ بالغدُرْ
وكلما ترنَّمَ الـ شَّادى وحرّكَ الوترْ
وكلما دبَّتْ ورا ءَ الليل نسمةُ السَّحرْ
ياليتَ شعرى كيفَ أنـ ـتَ ما تجىءُ ما تذَرْ
وكيف حبُّك الجديـ ـدُ هل خَبَا وهل كَبر
وهل وَفَيتَ أم غدر تَ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعى الناسىَ مولاتى وخلِّيك من السَّالى
ولا يخطُرْ لك النّاكـ ـثُ للعهد على بال

نتيتاس : هبيه يا تتَا خانَ فمالى لا أفى مالى
له خُلْقٌ ولى خُلْقٌ ولـكنْ خُلُقَ العالى

تتـــا : هوَ يا ملكتى مِثا لٌ ولـكنْ منَ الوَحَلْ
كان يكفى لبُغضه بعضُ ذاك الذى فعَلْ

نتيتاس : أنا أفديه يا تتَا بحياتى وإن قَتَلْ

تتا : لو كان معشوقى أنا

نتيتاس : ما الذى كان يُلاقى ؟

تتـــا : آه لا أدرى

بالصَّفعِ أجزيه وبالرَّكْل أو

كنتُ أُريه النَّجمَ فى الظُّهر

نتيتاس : الحبُّ فى ناحيـــةٍ وأنت ذى فى ناحيهْ

ما هكذا الحبُّ يا تِتَاً ما الحبُّ إلا التضحيه

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة]

يقول المستغيث :

العفـــوَ يا كسرَى الصفحَ يا سلطانْ

أخـــوكَ والنـــار ومجدها ما خانْ

الملكة : إسمعى يا تِتَا ألم يأتك الصوتُ ؟

تتا [وتطل من نافذة] : أجلْ ثَمَّ ضجّةٌ وعَويلُ

ثَمَّ خيلٌ وشُرطةٌ وسلاحٌ

الملكة : ليتَ شعرى مَن البرىء القتيلُ

تتـــا : أقتيلٌ يا بنتَ فرعونَ؟

الملكة : لمْ لا ليس فى أرضِ فارسٍ مستحيلُ

* * *

يا تتا نحنُ فى بلدْ كلُّ قلب به جمدْ

* * *

الحىُّ فيه رخيصٌ والميتُ أرخصُ منه

* * *

هنا الميتُ تنفضُ منه الأكف وتنهى الشرائعُ عن دفنه

ويطرحُ ناحيةً فى الفضاءِ على سهْله أو على حَزنه

تروحُ الحداءُ على رأسه وتغدو الذئابُ على بطنه

تتا : ويحهم ويحهم أمَا من الناس هم ؟

ذلَّتْ وهانَتْ أُمة ميتهم لا يُكرَم

الملكة (وهى مطلة)

تتا هذا هو الحارسْ وهذا مَنْ تحبينَّا

* * *

كذوقك يا تتا لم يعلُ ذوقٌ أتمثالٌ حبيبك أم إلاهُ

تتا : ولو فوق الإله يحبُّ شيءٌ ويكرمُ لم يكنْ أحداً سواهُ

* * *

تأملى كتفيه تأملى منكبيْه كأنَّ صقرَيْن حطَّا فظلَّلا شاربيه

الملكة : انتظرى لا بدَّ لى أن أسأله

تتا : لا تفعلى مالكِ مولاتى وله

الملكة : يا أيُّها الحارسُ

الحارس : لبَّيْك

الملكة : مَنْ يقتلون اليومَ فى السَّاحهْ ؟

الحارس : أختُ الملك أَتوسيا

الملكة : أختُ الملكْ ؟

الحارس : أجل هيَّا

اتهمت ببُرديا

تتا : من برديا ؟

الملكة : أخو الملك! أيقطع فى الساحة رأس برديا

يا أسفا عاوده جنونُه

تتا الوصيفة (وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة) :

ما بك مولاتَى ما غمّك ما هذا الأسى ؟

الملكة : لا شىءَ بى لقدْ وهمت يا تِتَا لا شىءَ لا

الوصيفة : بل أنت تكتمينَ غمّاً طافَ أو همّاً سرى

هل ذكرت أننا غريبتان ها هنا

أنت لىَ الأهل ولـ ـكنى أنا لك الحِمى

وماعلى الغريب إن جاءَ الغريبَ فاشتكى

الملكة : صدقت يا تَتا أنا وأنت فى الكرب سَوَا

قد اجتمعنا بعد قُر ب الدار فى دار النَّوى

تتـــا : أينَ إذنْ تبسُّمٌ كالصبح من فيك يُرى

الملكة : لقدرأيتُ الهَوْلَ والـ زَّوْلَ وما هَدَّ القُوَى

تتـــا : أضغاثُ أحلامٍ وزو رٌ من تهاويل الكرى

الملكة : رأيتُ رؤيا ياتتا هل لك علمٌ بالرؤى ؟

الوصيفة (بعد تفكير) :

أجل تذكَّرتُ أجلْ عندىَ من ذاكَ شذا

قد كنتُ فى الصِّبا على أبى أقُصُّ ما أرى

الملكة : رأيتُنى كأننى فى قصر آبائى بصا

الوصيفة : فى القصر من صالحجر قصر الجــلال والبَها

الملكة : رَمَيتُ عينَّى فى الـ قصر إلى أقصى مَدى

رأيتُ وادياً كطو ل البيد أو عرض الفلا

أصفرُ من شعابه بنفسجيّ المُنْحَنى
إحمرَّ مثلَ قَزَحْ هناكَ واخضرَّ هنا
رأيتُ ليثاً أحمرَ الـ جلدةِ خشناً كالصفا
فاغرَ فيه عن نيو بٍ مثل مشروع القَنا
انقضَّ كالصخر على الـ وادى فأقْعَى فَرَنا
ونظرَ النيلَ وقد عبَّ وماجَ وطغى
وخرجت منه التما سيحُ فُرادى وثُنَى
وأعْوَلت حتى لقد سَدَّ عويلُهَا الفضا
فعُقِرَ الليثُ فلا رِجْلًا رمى ولا يَدا
وقرَّ فى مكانه كأنه بعضُ الدُّمَى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ حنشاً ليسَ له مصرُ ثَرَى
لم ترَ منفُ مثْلَهُ ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهّانُ يتـ ـلونَ الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حلَّ به ؟

الملكة : لم يُصبْ الوحشَ أذى

الوصيفة : حقّقتْه سيدتى ؟

الملكة : حقّقْتُه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ أرؤُسَ النّشا

كأنه فانيسُ عيـ ـنَيْن ووجهاً وقفا

حتى تعوّذْتُ بآ زيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانيسُ مَنْ ؟

الملكة : نسيته ؟ كيف نَسيتى يا تتَا

الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى

يَمشى بمصرَ وأخا فُ أن يكون بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهر دنا

وَفَحّ ثُمّ دسّ فى النهـر لساناً كاللَّظى
فاحتجبَ النيلُ وعا دَ يبسًا ماكان ما
واحترقَتْ مدائنٌ بالضّفتَيْن وقُرى

الوصيفة : والليثُ يا سيدتى

الملكة : بعد التّهيّب اجْترَأ

مشى على الوادى فهلْ رأيت عاصفاً جَرَى ؟
يقتَلِعُ اليابس والرَّ طبَ ويَفرى ويَطَا
وكرَّ حتى غادرَ الـ ـوادىَ قاعاً صفصفا
هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرهُ نبئينى ياتتا

الوصيفة (لنفسها مضطربة): ماذا أقولُ ؟

الوصيفة (للملكة):

مَلْكتى لا تفزعى

الملكة : كيف تتَا كيفَ لاأفزَعُ والحُلْمُ مَهولُ
ينفدُ النيلُ ويذوى شَطُّهُ
وتَغُولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك يا سيدتى من نفسها مؤوّلَهْ
نالتْك من عَشاء أمس ثقلّةٌ ووبلَهَ
الملكة : ماذا أكلتُ مع قمبيزَ وما قُدّم له ؟
الوصيفة : كان العشاءُ ملْكتى مائدةً محمّلَه
أكلت يا سيدتى من أرنب متبّلَه
ثم أكلت من حَمَلْ وحَمَلُ الفرسُ جَمَلْ
الملكة : ثمّ ؟
الوصيفة : جاءوا بالطير فى الأطباق
الملكة : طيرُ مَنْ ؟
الوصيفة : طيرُ فارس والعراق
الملكة : ثمّ ماذا ؟
الوصيفة : ثم جاءوا بالسمكْ
فرأيتُ الملْكَ فى الأكل انهمَكْ
الملكة : ثم ماذا ؟
الوصيفة : لا أعدُّ ما حضَرْ من لحوم وبقول وخضُرْ

ثم بالحلوى أتوا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهة

الملكة : خلّطت تخليطَ العجوز يا نتتا فما علاقةُ الطعام بالكرى

الوصيفة : الأكلُ قبلَ النوم ثقلٌ وأذى وربَّما جاء بأضغاث الرؤى

الملكة (لنفسها) :

عرفتُ الآن رؤيايَ وما خلَّطَ أحلامى
وقد يُغريك بالأكل طُهاةُ الفرسُ والشام

(ثم إلى نتتا) : نتتا أين كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخَدمْ

الملكة : وكيف عَددت علىّ اللُّقَمْ

الوصيفة : لبدتُ هناك فما من يدٍ تفوتُ علىّ ولا من قَدَمْ
ولم يخفَ عنى كيدٌ يطوفُ ولا وحىُ لحظ ولاهمسُ فَمْ
أخافُ القصورَ وأخشى السمومَ وما منزلُ السمِّ إلا الدسَمْ

الملكة : يا لكِ من رفيقة محسنة شفيقهْ
مرحى تِتا كذا تتا فلتكنْ الصديقه

الوصيفة : سيدتى أخجلتنى ليس بما جئتُ عجب
ما قمتُ يا سيدتى إلا ببعض ما وجبْ

الملكة : ولكن يا تِتا ما أخطرَ السمّ على بالكْ
ولى فى فارس عامٌ فما فكّرت فى ذلكْ

الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتىَ قد جنّوا
ولولا ذاك لم يخلُ من السمّ لها ذهنُ

الملكة : ولِمْ لا نحذرُ السمّ أما فى فارس نحنُ
هنا الجلادُ والسيفُ هنا السجّانُ والسجنْ

الوصيفة : وماذا ضرّ ما قلتِ إذا لم يحن الحينْ

الملكة (بعد برهة تفكير) :

أرى قمبيز ذلّ وَرَقّ طبعاً بربك هل رأيت عليه حبا

الوصيفة : أجل هو يقصر الخطوات مهلاً وكان يمدها خطفاً ووثبا

(ثم في تلعثم وتردد) :

سأسألُ فاحلمي عني فإني أموتُ ولا أراكِ على غضبي

سؤالٌ مليكتي هل من جوابِ

الملكة : أدونكِ يا تتا شيءٌ يُخبأ

الوصيفة : زعمنا أن قمبيزاً محبٌّ فهل تجزينه بالحب حبا

الملكة : أحبُّ أنا؟ ضلَّ ما قد ظننتِ وإن خلتِ ظنَّكِ لم يكذب

الوصيفة : ولِمْ لا؟ وقمبيزُ لا بالقبيح ولا بالدميم ولا بالغبي

ولا هو بالملك البربريّ ولا الوحش ذي النابِ والمخلب

ولكن فتىً خيِّرٌ كالسحاب وضيءُ البشاشة كالكوكب

يزينُ السريرَ إذا احتلَّه وإن سار كان حُلَى الموكب

الملكة : صدقت تتا هو زينُ الشباب إلهُ القنا قمرُ الغيهب

إذا غُلبتْ في القتال الملوكُ وفي السِّلْم عزَّ فلم يُغلَب

يُسيطرُ كالشمس سلطانُه على مشرق الأرض والمغرب

ولكن متى يا تتا دُلِّهتْ بناتُ الفراعين بالأجنب

وما نلتقى فى جلال الجدود ولا فى العقيدة والمذهب

بَخٍ بخْ تتا ألفَ مرحَى تتا

الوصيفة : حَنَانَيْكِ عفواً ولا تغضبى

لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ إذا قَوْلَةُ الحق لم تُعجب

«تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز . . . . ».

قمبيز (يدخل وعليه أمارات الغضب) :

ما أرى من تتا؟ تتا أين مولا تُكِ فيمَ احتجابُها أين سارتْ

تتا (لنفسها): ربِّ ماذا به وما هاج قمبيـ ـز وما بالُ نفسه اليوم ثارت

تتا (لقمبيز): هى فى حجرة الملابس

قمبـيز : لا بل هى قد جاءها النبا فتوارت

خبِّرينى من أبوها أبرياسٌ أم أمازسْ

وبنفريتَ تُسمَّى أم تسمى بنيتاتس

إحذرى أن تكذبينى إحذرى سلطانَ فارس

تتـا : سيدى ما هذه الأخبـ ـار كسرى من رواها

سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيله

قمبيز : سأريها كيف تنقا دُ وتأتى لى ضئيلَهْ
في غدٍ تدخلُ مصراً بنتُ فرعونَ ذليلَهْ
وترى السيفَ مخوفاً وترى النَّار مهولَهْ
وترَى النيلَ دماً والـ أرضَ جرْداءَ محوَّلَهْ
لا أناسٌ لا مواشٍ لا بنـاء لا خميلَهْ

الوصيفة : سيدى صبراً تجدْ عاقبةَ الصبر جميلَهْ
سيدى لا تُصْغ إلا لسجَاياك النبيلَهْ

قمبيز : أنا لم أخلَق لبسط الـ ـكَفِّ أستجدى بحيلَهْ
أنا للسيف وللرُّمـ ـح وإخضاع القَبيلَهْ
لا تِتَا . لا . إنَّ بالملـ ـكة كبراً ومخيلَهْ

(ثم بسخرية) :

أنا من تُرْبٍ خسيس وهى من أرضٍ جليلَهْ
أنا للطِّين سليلٌ وهى للشمس سليلَهْ

الملكة (وهى راجعة) :

ما الصوتُ مَنْ تُكلّمينَ يا تِتَا

الوصيفة : سيدتى . سـيدىَ الملكُ أتى

الملكة (ملتفتة) : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيفَ متَى ؟ ؟

(ثم ناهضة ومقبلة على الملك):

الملكُ فى مقصورتى يامرحبا يامرحبا

الملك (ويقبل على الملكة) :

سلامٌ ملكة الفُرس وبنتَ العِلْيَة الصِّيدِ

الملكة : سلامٌ سيدَ الأرض سلام حيدرَ البيد

ومن دانَتْ له الدنيا وألقتْ بالمقاليدِ

(ثم مستمرة): لم أتعوَّدْ أن أرَى مولاىَ عندى فى الضُّحَى

قمبيز : خالفتُ نظْمَ عادتى وجئتُ فى شأن دعَا

الملكة : مالكَ كِسرَى عابساً مالى أراكَ مُغْضبا

الملك (ويصفق) :

أجلْ جِد غضبان

الملكة : ممَّ الغضبَ ؟

الملك : رُوَيْدَكَ نقريتَ تدرى السَّبَبْ

الملكة (لنفسها) :

دعانَى باسمِىَ لَمْ يَدْعُنى كمألوف عادته باللَّقَبْ

تُرَى لم يَزَلْ جاهلًا أننى أتيتُ لفارسَ باسْمٍ كَذِبْ

قمبيز (ملتفتاً وراءه خارج الباب وينادى) :

فانيسُ . أَقبلْ أُدْنُ جىء

الملكة (لنفسها) : فانيسُ؟ لا ، لا يدخلُ

فانيسُ لا أجهـــلهُ ليس لِمصـــرَ بالولى

عـــدوُّ قومى وبلا دى كيف يُصفى الودَّ لى

(ثم إلى قمبيز) : مولاى إنى ما فرغـ ـتُ بعد من تجمُّلى

فكـــيف أستقبل فى هـذا اللبَاس المهمَل

(لنفسها): يا ويلتـــاه ما أرا دَ باصطحاب الرجلُ

إيزيسُ ما بالى أحـ ـسستُ بشرٍّ مقبـــل

الملك : مالَكِ يا ملكــةُ لم تُرحِّـــبى وتَحْفَلى ؟

مالكِ أجفلت ؟

الملكة (مضطربة) : أنا ؟ لا سيـــدى لم أجفل

الملك : إذَنْ هي الاذنَ لفـا نيسَ دعيـه يدخـل

الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى إن كنتَ يا سيدى مُصرًّا

لكن أأُنسيتَ أن فانيـ سَ خانَ بالأمس عهدَ مصرَا

وفرَّ منها ولستُ أدرى ماذا دعاه لأنْ يفرّا

وكان فى الجيش ذا مكانٍ وقادَ براً وقادَ بحـرا

قمبيز : لـكنه اليومَ فى بلادى أجلُّ مما ذكرتِ قدْرا

الملكة : وسوف يجزيكم جُحوداً كما جزى أهلَ مصر كُفرا

قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْك مِصرِ لم يُخْفِ سرًّا

حتى الذى تكتُمينَ عنى

ثم ينادى : فانيس

فانيس : مَلْكى لبَّيْـكَ عشرَا

[ثم هو يدخل] :

سلامُ الشمس من مصرَ سلامُ النارِ من فارسْ

على الملْكة نفريتَ أو الملْكة نِيتاتسْ

الملكة لنفسها :

رمانى النذلُ بالسَّهم

ثم لفانيس : سـلامٌ لكَ يا فانِس

ويا مَنْ هو فى الفُرس ومصرَ القائدُ الفارسْ

وفى القصرين من سوسٍ وسايِيسَ هو الحارسْ

فانيس : وماذا ضرَّ يابنتَ الموالى وإن تأبَىْ فيابنت الأعادى

أجل مولاتِى الإغريقُ قومى

أحبُّهمُ ويونانٌ بلادى

هجرتُهما إلى مصر صبيًّا لكسبِ معيشة وطلاب زادِ

قصدتُ الرزقَ حتى صار عندى وجاوزَهُ إلى المجد اصطيادى

سهرْتُ على اللواءِ بمصرَ جُهدى وفرعونٌ وقومُك فى رقاد

الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسوداً

فانيس : فسوَّدَنى ذكائىَ واجتهادى

الملكة : أجيراً كنت عند أبى وقومى

فانيس : فَوَّلَنى نشاطى واقتصادى

جعلْتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتى وكنتُ الليثَ من وادٍ لوادى

الملكة : أراكَ على يافانيسُ تجْرو أَجَرأَكَ المليكُ على عنادى ؟

ككلبٍ خلْفَ سيده تجرَّا فواثَبَ رائحاً وسَطَا بغادى

فانيس: بدأت أميرة الوادى بشتمى ... وما أنا يا ابنة المقتول بادى
لقد عيرتنى أنى غريب ... ولوع بالسفار وبالرياد
الملكة: لقد هجم الوقاح على مكانى ... وأخشى أن يصير إلى التمادى
ثم للملك: مولاى قف فانيس عند حده ... أو رده لا تلجئنى لرده
علت حقده على قومى فلا ... تدعه ينفث فى سم حقده
الملك: علام أقصيه ؟
الملكة: لأنه أتى ... يشى بنا ويفترى كعهده
الملك: فانيس جاء ناقلا مبلغاً ... وليس ما جاء به من عنده
[ثم مستمراً] :
أراك نفريت غير منصفة ... رويد لا شىء يوجب الغضبا
كونى مكانى؟ ما كنت فاعلة؟ ... إذن قلبت الزمان فانقلبا
الملكة: لا سيدى إن للزمان يداً ... قد ضربت كف كل من ضربا
الملك: نفريت ثرت على فنيس ... س وما حفظت ولاءه
ونسيت خدمته بمصر ... ر وما ذكرت بلاءه
الملكة: سيدى لا. نحه ... أنا لا أطيق لقاءه

[ثم مستمرة] :

ما بك مولاىَ ما أثاركَما أذكاك إنى أراك ملتهباً

قمبيز : أثارنى منك أن كذبتِ وذا فانيسُ قد جاء يفضحُ الكذبا

[ثم مستمراً] :

هلىِّ الآن نفريتُ هلى يا نتيتاسُ

بأىِّ إسميكِ أدعوكِ

الملكة : بذا أو ذاكَ لا بأسُ

فيا قمبيزُ لو دانتْ لك الأيامُ والناسُ

فلن تستطيعَ أن تقهَرَ نفساً حلّها الياس

قمبيز : أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ منى

الملكة : أجل اليأسُ منكَ ملءُ ثيابى

فليكن

الملك : إنى سألت سؤالاً لم إذن هبتنى و هبتِ جوابى

كيف أدعوكِ ياعروسُ؟

الملكة : بما شئْتَ بشرِّ الأسماءِ والألقاب

بالذى أنتَ أهله من بذاءٍ والذى أنتَ أهلُه من سِباب

الملك : أنتِ لم تُذنبي بل الذنبُ ذَنْبي
أنا قد شئتُ أن تكوني ركابي

الملكة : ليس ما شئتَ أو أتيتَ غريباً
قد تكونُ المها ركابَ الذئاب

الملك : احْذَري أيتُها الفتاةُ انفجاري

الملكة : انفجرْ ما بي انفجارُكَ ما بي

الملك : جئتَ ذنباً تُعاقَبينَ عليه كلُّ ذنب رهينةٌ بالعقابِ

الوصيفة (بصوت منخفض) :

اكظمي الغيظَ يا أميرةُ

الملكة (وتشير إلى قمبيز) :

بل يخـ ـرجُ من حُجرتي ومن محْرابي

الملك (لفانيس والوصيفة) :

أنظُرا واسمَعا تُحاوِلُ أن أبْـ ـرحَ قصري وأن أُفارِقَ بابي

الوصيفة (للملكة بصوت منخفض) :

راجعي الحلمَ ملْكتي إسايريه لا طفيه لِيني له في الخطاب
لا تهيجي به الجنون فيطغى إنهُ آدمٌ بظُفـــر ونابِ

فانيس (همساً) :

أحسنى الردّ ملكتى واحفظينا

إنمـــا ها هنا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خفتَ فانيسُ من عذابِ نار

كيفَ عرّضت أنفُساً للعـذابِ

عجبٌ من خراب عمرك تخشى

أنتَ من ساقَ أمةً للخـرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنت يا نتيتاسُ

الملكة : بنتُ الشّمـ ـس بنتُ العواهل الأربابِ

والدى فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مرّغته فى التراب؟

قد نبذتَ اسمَك الذى كان سمّا ـكِ وجبْتِ البلاد باسمٍ كذاب

(ثم مستمراً) نتيتاسُ تمـــرّدتِ فمـــا أبقيْت لى صبراَ

وكلّمتُكِ فى الذنبِ فما أبديْت لى عُـــذراَ

وما أجرأ ما كنتِ على شتمىَ ما أجراَ

فما غَرَّكِ بالبأسِ وبالسلطانِ ما غَرَّا

الوصيفة (بصوت منخفض) :

خُذى فى اللينِ مولاتى

فانيس (همساً) : خُذى سيدتى الحذرَا

فقد تأخذُه النوبـ ـةُ حتى يَحْرقُ القصرا

قمبيز : دَعى العزَّةَ بالجنسُ نتيتاسُ دَعى الكبرَا

ولا تُلقِى على إحسا نِ النسيانَ والكُفرا

أما أحببْتُكِ الحبَّ الـ ـذى أنت به أدرَى

وفضَّلْتُك فى القصر على البيضاءِ والسمرَا

وقدَّمتك فى الأزوا ج قبلَ الأخت من كسرَى

الملكة : لقد كنتَ وراءَ الحُـ ـبِّ تُخفِى النَّاب والظفرَا

وما أفرحنى أنى تقدمتُ على الأسرَى

ولا أنكَ ترْعانى وتنْسَى النعجةَ الأخرَى

الملك : ملكةَ الفرسِ أمس

الملكة : واليوم ؟

الملك : كلا لست أهلاً لصحبة المالكينَا

الملكة : أنا بنتُ الملوك أصلح للمُلْـ ـك جدودى تملّكوا العالمينا

الملك : قد خدعتُ الشهورَ يا ابنةَ فرعو

ن ولو لا فانس خدعتُ السنينا

فانيس (لنفسه) :

أحمدُ الله قد نجوتُ برأسى وأمنتُ المهوَّسَ المجنونا

الملكة : ليس فانيسُ للأمانة أهلاً إن من خانَ لم يخفْ أن يخونا

الملك : ستَرَين العقابَ

الملكة : إنى تأهّبْـ ـتُ فهات العذابَ هات المنونا

الملك : لا. فما هاهنا العُقاب ولكن

الملكة : أينَ ؟

الملك : فى حَيثُ شئتُ لم تَسألينا

مصرُ أولى بأن أحاسبَ فيها وأحلّ العقابَ بالخادعينَا

فى غد تدخلينَ مصرَ مع الجيـ ـش

الملكة : أنا ؟ لا أرافقُ الغاصبينا

الملك : بل تسيرينَ تحت راية فانيـ ـسَ

وما تصحبينَ إلا أمينـــا

الملكة : سيدى

الوصيفة : مليكتى دعى العنف

الملك : ماذا ؟

الملكة : كيف لقبت بالأمين الخؤونا

فانيس [همساً] :

صانعى أيها الأميرة

الملكة : دعنى

فانيس : أهدئى حاسنى عسى أن يلينا

الوصيفة : مليكتى قال سيدى الملك الحق

الملكة : صه أنت يا تبا تكذبينا

فانيس : سترين النعيم تحت لوائى

الملكة : بل أرى البؤس تحته والهونا

الملك : وكأن الوجهين بانا من الوا دى

وزالا سهولة وحزونا

أرسل السيل تارة وأجيل السيف آنا وأشعل النار حينا

الملكة : عُدْ إلى الرُّشد ما جنت مصرُ يا قمـ
سبيزُ ما ذنبُ أهلهـــا الآمنينا

(ثم مستمرة) :

أميرَ الفُرْس قلنـا كـلَّ شيء
ولم نَقُلْ الحقيقـــةَ والصوابا

الملك : أعندك منهما شيءٌ ؟

الملكة : ولم لا

الملك : إذَنْ قوليهما وزنى الخطابا
ذكرت الحربَ هل تخشينَ منها

الملكة : ولم لا وهى أجدرُ أن تُهابا

الملك : ولكنا ملوكَ الفرس نغشَى مخاوفَها ونجعلُها لعابا
أراك هدأت نا تيتاسُ روعا

فانيس : وكان الرّشدُ فارقَها فثابا

الملكة : ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصر وأنْسيتَ العوائقَ والصّعابا

سَيَطْوِى الجيشُ نحوَ حياض مصرٍ

بحـــارَ الملح واللجَجَ العذابَا

وأغبَى الناس منشمرٌ لحربٍ توقّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابا

ودونَ النيل

الملـــك : ماذا دون مصرٍ ؟

الملكة : يجوبُ الجيشُ صحراءَ يبابا

تَرَى تيهاً تَجُرُّ الخيلُ فيه قوائمَها وتنسحبُ انسحابَا

يَضلُّ الجيشُ هديتَه عليه ويُظمئُه ويوردُه السَّرابا

ترى جَلَدَ الجمال عليه يَفنَى وتحسبُها من اللَّهَث الكلابَا

الملك : لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شىءٍ على الحدود تهيَّا

قد وجدنا الجرارَ فى مصرَ والمـــاءَ ولم نَعدَمَ الرجالَ السُّقيَّا

فانيس : واشترينا الخفيرَ بالمال والحـــارسَ والحامىَ الأمينَ القويَّا

الملكة [لفانيس] :

كلَّ هــذا فعلتَهُ أنت يا نذْ لُ

فانيس : أجلْ ما أتيتُ أمراً فريًّا

إن قمبيزَ بى حنِىٌّ وفرعو ... نُ أمازيسُ لم يكن بى حَفيًّا

الملكة : وابنُه ما جنَى عليك ومصرٌ؟

فانيس : جَنَيا الطردَ والجحودَ عليًّا

أنا كالسيف لم يُصنْ كَمِىٌّ ... قدرمانى فاعتضتُ عنه كميًّا

الملكة : وجَحدتَ الذى طعمتَ من النعمة

فانيس : لا. ما طعمتُ من ذاك شيًّا

كنت كالسيف كلما كافؤنى ... جعلوا السُّمَّ لى طعامًا وريًّا

الملكة [إلى قمبيز]:

وهبكَ بلغتَ يا مولاىَ مصرًا

الملك : وماذا عندَ مصرَ؟

الملكة : تجىءُ غابا

ترى أسَدَ القتال عليه شتَّى ... تقلَّدت الصوارمَ والحرابا

وثَمَّ ترى الفيالقَ من رُماةٍ ... تكادُ قسيُّهم تَردُ السحابا

إذا نظروا على زادٍ غرابًا ... أصابوا بينَ عَيْنَيه الغرابا

الملك [يبتسم مستهزئًا]:

رُمَاةٌ ؟

[ثم إلى فانيس والوصيفة] :

حدثوها كيفَ أرمى

وكيف أصيبُ فى السُّحب العُقابا

الملكة : أأنتَ بجمعهم تُقتاس كسرَى

وأنتَ الموتُ حيث رمَى أصابا

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشاً

كمرْكُوم الحصى يُخْطِى الحسابا

وأخشى أن يقول الناسُ زوجى

غداةَ ذهابه نسىَ الإيابا

الملك [لفانيس] :

فانيسُ صَفِّق وناد يا معشرَ القُواد

[يدخل الحراس والقواد]

قمبيز [للقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعَال

ميجا : لبيكَ رَبِّى لك التحياتُ والسجودُ

الملك [للملكة] :

يا ملْكَةَ الفرس ذاكَ ميجا يعلم ما يحشُدُ الوجودُ

خريطةُ الأرض فى يديه السفنُ والخيلُ والجنودُ

الملك[لميجا]: ميجا تكَلَّم ماحالُ مصر ما الجيش فى مصْرَ ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلَّم

ميجا [فى اضطراب] : ملكَتى

الملكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميجا : جيشُ مولاتىَ كالعهد به كاملُ العُدَّاة موفورُ العديد

الملك [فى غضب] :

هات ما عندَكَ من أخباره

واخْشَ أن تَنقُصَ واحذر أن تزيدْ

ميجا [مضطرباً] :

يا إلَهَ الفرس لا تبرحْ فى

وأعِنِّ . كيف أُبدى وأُعيد

[ثم للملكة] :

إن وردَ السلم من كسرته نسيَتْ أظفارَها فيه الأسود

واختلافُ الجُند فيما بينهمْ أخذَ البأسَ وإن أبقى الحديد

أصبح الجيش

(ويسكت قليلا)

الملك [لميجا] : تكلمْ ـــــ

الملكة : قل أبنْ

ميجا : كالقطيع اختلفتْ فيه الجلود

حُشرَ اليونانُ في رايته وتراغى الزّنجِ واندسّ العبيد

وغدا كلُّ طريدٍ لم يجدْ سببَ الرزق أتى الجيشَ يصيد

الملكة [لنفسها] : والخيلُ ياميجا هناك؟

ميجا : قليلةٌ في جيش مصرَ قليلةُ الفرسان

الملكة : أسفاً على الفتيان أين حماسُهم قتلَ النعيمُ حميّة الفتيان

الملك [ملتفتاً إلى ميجا] :

مليكةُ العرس ميجا قد اكتفتْ ببيانك

فخذ مرازبةَ الفرس وامضِ ميجا لشانكْ

نتيتاس : قمبيزُ ماشئت فاصنع إنى أراكُ مصرًّا

تُغيرُ أنت وتغزو ويحفظ الله مصرَا

قمبيز : وفارسٌ يابنـــةَ النيـ ـل ما لفارس ذكرُ

نتيتاس : لا أيهـــا الملك مالى في غير مهـــدىَ فكرُ

قمبيز : نتيتاسُ اسمعى أنتِ تُسيئـــين إلى مصراَ

غداً يهلكُ أهـــلُوها وتُمسى تحتهم قـــبرَا

نتيتاس : هـذا التجنِّى كثيرٌ هذا لعمرى الغـــرورُ

لقد تحمَّلَ صــدرى ما لا تُطيقُ الصـــدور

(ثم مستمراً) : كفاعبثاً بسلطانى و بأسى كفى ما كان ناتيتاسُ منكِ

غداً يتحدّثُ الركبانُ عنى و يروى الناسُ ما يروون عنك

✡ ✡ ✡

كذبتِ علىَّ يابنة أبرياس حذار حذار من بطشى و فتكى

✡ ✡ ✡

أنا قمبـــيز بنُ كسرى أنا جبـــار الوجـود

وأنا النـــارُ أصولى وبنو النار جـــدودى

ويـل فرعونَ مصر من جنودى و بنـــودى

✡ ✡ ✡

قمبيز [لنفسه] : رباهُ ويحى ويحَ لى ربـــاهُ مالى لا أدعى

ربَاهُ ناراهُ ما الذى أجِــدُ

كأنما النـــارُ فىَّ تَتَّقِــد

يا نَارُ كونى لِى أو يارمادُ كُنْ عونى

(ثم الى نتيتاس) : انتظرى البطش يا بنت فرعون

أنا قمبيز بنُ كسرى أنا وحشٌ أنا غولْ

لستُ بالعجـــل أبالى وعلى النـــار أبولْ

قمبيز (لنفسه) : قد رجع الصـــغيرُ لى يا ليتـــه لم يرجع

ما بَالُ عيـــنى أظلمتْ ما بالُ ساقى جَمَـــدَتْ

أين الطبيبُ أزدَشِرْ ؟

(ويغشاه الصراع)

(الملــكة بعد أن يأتى الطبيب) :

هذا الطبيبُ قد حَضَرْ

(يدخل الطبيب ويطلب نقله)

(الملــكة تدنو منه فى حنو وعطف وتقول) :

يا ويحَ زوجى ويحَــه هاجَ وعاده الصرَعْ

يا نَارُ كونى حوله أدركْهُ يا آمونُ رع

(يخرجون به)

فانيس : الآن نتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى

تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعالى

نتيتاسُ أنت اليومَ ملكَةُ فارس

بلغتِ الذُّرَا من سُؤْدد وجلالِ

الملكة : ولكن أبى فانيس . لاتنسَ ما أبى

وَجَدّى وأنى بنتُ أصيدَ عالى

فانيس : ولكن ألم يخلعْ أباك أمازسٌ

ويفتكْ به فى ثورة وقتال

ويجلسْ على كرسىّ مصرَ مكانَه

ويخلُفْه فى جاهٍ أفادَ ومالِ

الملكة : أجَلْ قد خُلعنَا مُلكنَا وتصرَّفَتْ

بنا سوقَةٌ من جُندنا وموالِى

فانيس : إذَنْ فدعى قمبيزَ يثأر لزوجه

ويضربْ بيُمْنى أو يُصبْ بشمال

دعيهِ يعاقبْ سارقَ التاج مثلما

يُعاقَبُ فى منفيس لَصُّ لآلى

الملكة : تأملْ وحقِّق من تخاطبُ يا فتى

فانيس : أخاطِبُ عقلا من وراء جمَالِ

لقد قلتُ قولًا ليسَ يأباهُ عاقلٌ

فلا تنظرينى واسمعى لمقَالى

الملكة : ولكن أمامِى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : ومالكَ يا بنتَ الملوك ومالى

الملكة : وأنتِ نِتتاَ ماذا تَرَيْنْ ؟

الوصيفة : خيانةَ وأطماعَ قُوّاد ولؤمَ رجال

الملكة : فديتُكِ من مصريةٍ

الوصيفة : بل أنا الفدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثال

الملكة [لفانيس] :

أتسمعُ كلبَ الصيد ؟

فانيس : حمقاءُ غرّةٌ ومالىَ أُلقى للحماقة بالى

الملكة : عمى لك يافانيس وامش بلا عصا
ودون دليل فى رءوس جبال

فانيس : لك الشكر مولاى

الملكة : لك الويل من فتى فإنك من معنى المروءة خالى
أأوطئ خيل الفرس مهدى وملعبى
وتربة آبائى ومنزل آلى
وأشعل نار الفرس فى أيكة الصبا
وما بوأتنى من ربى وظلال
وأغمد سيف الفرس فى صدر أمة
نمتنى وتنمى أسرتى وعيالى
إذن لا أوى جدى السماء ولا أبى
ولا جل عمى أو تبارك خالى
وأفضل منى كل ذات ملاءة
وراء حقول أو وراء تلال
تهش على شاة وتحمل جرة
وتمشى على الوادى بغير نعال

(يدخل قمبيز ثم الحاجب ويقول) :

إله الفُرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثَمَّ رُسُلٌ أتوا من مصرَ بالنبأ العظيم

الملك : وما يقولون؟

الحاجب : يقولون أمازيسُ هَلك

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يقولون ابنُه بسامتيك قدْ مَلك

الملكة [لنفسها] :

مصرُ . . . . رُسُلٌ ؟ ليتَ شعرى ما الخبرَ
وطنى يَا رَبِّ لا مُسَّ بشَرْ

قمبيز الملك [ملتفتاً بالملكة والوصيفة] :

يا ملْكَةَ الفرس أصْغى ويا نتَا هل سمعت
قد مَاتَ فرعونُ مصرٍ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تعيشُ مصرُ وتَبْقَى

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

« الأميرة نفريت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه »

وَيحى لقد أودَتْ بِىَ الأنانيه

عشتُ فما أحببْتُ إلا ذاتيَه

ولا افتكرْتُ بسوَى لذَّاتيَه

حتى قَذفتُ وطنى فى الهاويه

النيلُ . النيلُ بجنبى هاميَه

أمواجُه تهتفُ بى مناديه

* * *

يا نيلُ يا قوام كلِّ شىّ

ومانحَ الحياة كلَّ حىّ

هَىّ اغسل الذنبَ العظيم هىّ

(ثم تلقى نفسها)

المنظر الثانى

فى منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون »
« يغنى قمبيز وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب »
« من جراء الفتح الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعالى يا (باطا) قلْ لىَ بالله
كيف ترى الحُكمَ كيف ترى الظُّلما

باطا : أصخْ أصخْ يا داد اسمع وكن عونى
قمبيزَ فى الظلم بألف فرعون

[ثم لهجار]: وأنت يا هجارْ ماذا تقولينا

هجار : آمونُ ذو المَنّ يُبقى الفراعينا
الفُرسُ فى مصرَ طغيانُهم قد زادْ
هُمْ صلبوا التمساحْ على ضفاف الوادْ
وكلَّفوا العصفورْ يمشى مع الصياد

(تقبل امرأة مصرية عجوز)

فيقول أحدهم: وهذه دوباره

آخر : الشيخةُ الثرثاره

الأول : هلُمّى يا دوبارا هات اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبرَ مصرُ ترى اليومَ العبرَ

لكن صَهِ حذار لا يدرينَ دارى

* * *

عارضنى الساعةَ فى طريق

فتى مليحُ الحسن والبريق

يسألها سائل: مِن الجنود؟

العجوز : لا من القواد

عالى المكان ظاهرُ الميلاد

آخر : وما أتى ما فعلا ؟

العجوز : عانَقَنى وقبّلا

الأول : وأينَ ؟ فوق فلك الدُّرىّ

آخر : أو من على جبينك البدرىّ

* * *

آخر : أو فوق خدّ مثل روث البغل

الأول : أو فوق ذقن مثل كعب النعل

* * *

العجوز : أهذه نجدتُكمْ يا فتيَـهْ
أهكذا تُحَمى بمصرَ النِّسوَهْ

* * *

يا أسفَا على القرونِ الخاليَهْ
يا أسفا على النفوسِ العاليَهْ

(وتنصرف مغضبة مهرولة)

أحدهم (يرى شخصاً مقبلا) :
هذا أها ، من أينَ جئْتَ ؟

ثانى : كيف أنتَ يا أها ؟

أها : من ضيعتى

الأول : وكيف هِى ؟

أها : لقد لَقِيَتْ ما ساءها

* * *

إوَزِّى كله طاحَ وبَطِّى كلُّه طارا
وأختى خُطِفَت منى وزوجى جُلِّلَت عارا

* * *

الجماعة : إذن لقد آن أن نثُورَ نَطْرُدُ قمبيزَ والجنودا
الغابُ فى شقوة وبؤس فما انى يمسك الأسودا

أحد الجماعة :

خذوا حذركم أقبل الطاغية مع الوزراء في الحاشية
وذا السيف في يد جلاده يُسَلُّ على الأرؤس العالية

* * *

آخر : تلك مصائب وقد صبت على هذا البلد
امضوا بنا امضوا بنا ليسمعننا أحد

« ينصرف المصريون ويدخل قمبيز في وزرائه وقواده »
« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... ... »

قمبيز : ماذا يسوق الجنود من الوجوه السود ؟
هذى عفاريت

وزير : لا بل مولاى هذى قرود

قمبيز : لكنهم حيث دارت رحى القتال أسود
بلوتهم في القتال لما حوتنا الحدود

قائد : النوب جند بساما

قائد آخر : بل هم أشد جنوده
وأثبت الجيش يوم القتال تحت بنوده

قمبيز : ياجُندُ حلوا عن الأسرى وثاقَهم

خَلّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى

ويا بنى النُّوبِ مُلكى لن يضيقَ بكم

من شاءَ فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى

والجيشُ دارُكم إن كان يُعْجبكُم

أن تلحَقوا بمُشاتى أو بفرْسانى

الأسرى النوب :

يا بنى النوب هَلُمّ رقصةَ الحربِ لكسرَى

سيِّد الأرضِ عَفا عنّا فما نحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون »

النُّوبُ جيلْ ، حُرٌّ أصيلْ ، يقضى الديونْ

نحنُ الأسودْ ، حُمر الجلودْ ، حُمر العيونْ

لنا لبدَ ، من الزَّرَدْ ، هى الحصونْ

نَغْشى القتالْ ، ولا نُبالْ ، طعمَ المنونْ

* * *

نحنُ شعوبٌ وشيعٌ وراءَ أسوانَ نَقَع

مروشُنا من الجريدْ تيجانُنا من الوَدَعْ

* * *

نحن قبيلَ الشُّلُكِ في العنجريبِ نتَّكى

والصيدَنهوَى والقَنَص ونَطَّلى بالوَدَك

* * *

للحرب نمشى الهرولَه نبعثُ فيها الجلجله

ممزوجةً بالولولَه

(وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول) :

قمبيز : زِه يا جنود زه يا أسودْ

(كبير النوب لخازن الملك) :

زِه زِه هاتِ النقودْ

(يدفع الخازن إليهم مالاً فيأخذونه وينصرفون)

(يتراءى فرسان ثلاثة)

قمبيز : مَن الغُبار ؟

وزير : رسل

قمبيز : ماذا إلينا حَمَلُوا ؟

قائد : ها هُم قد تَرَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

قمبيز : ماذا وراء الرُّسُلُ ؟

أحدهم : الدعوات للملك

قمبيز : ماذا لديكُمْ ما الخَبَرْ ؟

أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطَرْ

قمبيز : حوادث؟قل أخا الهيجا تكلم

الرسول : بسامتيكُ يامولاىَ خانا

الوزير الأكبر : بَسامتيك خان ؟

الرسول : أجل أميرى

قمبيز : وكيف ؟ وما أتى ؟

الرسول : نقَضَ الأمانا

قمبيز : وما برهانُكم

الرسول : كُتُبٌ ورُسْلٌ يُثيرُ بها القُرَى آناً فآنا

قمبيز : وهل وجدتْ دعايتَه سميعاً وهل حلّتْ من الوادى مكانا

الرسول : أجابت دعوة المخلوع منْفٌ ومنفُ ما جعلن لذاك شانا

قمبيز : وأين فرعونُ بَسْماً

الرسول : فى منف يغدو ويروح

حُرٌّ كما شئتَ له بين القصور والصُّروح

من معبدٍ لمعبدٍ ومن ضريحٍ لضريح

وحولَه كهَّانُه فيس يجُرُّونَ المُسوح

وكلُّهم مُشيرُهُ

الوزير الأكبر : بئسَ المُشيرُ والنَّصوحْ

آخـــر : من لم يكن كاهناً فى مِصر أو مليكا

ولا تراه لهـذا أو لِذا تَبَعَا

فلا تقيسَنَّ فى هذى البلاد به

إلَّا المواشىَ والأحجارَ والسِّلَعَا

قمبيز : وزرائى ودهاقينى انظروا انظروا ذلك فرعون «بسما»

الوزير الأكبر : يدفعُ القوادُ والجندُ به وهو فى القيدِ يجُرُّ الأدهَما

قائـــد : كادَ فرعونُ من استكباره أَنْفَهُ يدفعُ فى أنف السما

[فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة وإباء واستكبار]

قمبيز : بسامتيك

فرعون : قمبيز

قمبيز : أتدعو باسمه المَلِكا

فرعون : غـداً تَفقدُكَ الفرسُ وَيخلُو عرشُها منكا
وَمُلْكٌ قد مَضَى عنِّى سيمضى فى غـد عنكا

[قمبـيز يدخل فى الغضب شيئاً فشيئاً]

قمبـيز : وهـذا الفتح يا فرعو ن ؟

فرعون : عـدوانٌ وإجرامُ
أما عنـدكَ يا قمبيـ ـزُ للنكبة إكرام

* * *

قمبـيز : عفوتُ عنكَ أمس يا بَساما فلم تَرْعَ الوفَا
فرعون : يا عَجبـَا يا عجبـا عبدٌ عن الرَّبِّ عفـا
قمبيز (هائجاً): خُـذوه بالخناجر سُلُّوا لسانَ الفاجر
فرعون [فى عظمة وصبر وثبات] :
هاتوا سيوفَ الفُرس هاتُوا القَنا
هاتوا المُدَى هاتوا حبالَ الحديدْ
لا تَحْسَبُونى بشراً بائداً فرعونُ حىٌّ خالدٌ لايبيدْ
قمبيز : إذن خذوه بعيداً صُبُّوا عليه الحديدا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قمبيز ويقول له]

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهور ونزوةُ الضرغامة المأسور

مولاىَ بالنار بقُدس النور اغفر لهذا الصارم المكسور

فإنه ضحيـــةُ الأمور

قمبيز [صائحاً بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما] :

إذن رُدُّوا الأسيرَ إلىَّ رُدّوا فإنّا ما انتهينا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبيز »

قمبيز : تعال فرعون بسما تعالَ منى ناحيه

لقــد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه

فرعون : لا مرحباً أمس ولا الـ ـيوم بعفو الطّـاغيه

قمبيز : تأمل هلْ لبستَ اليوم ذلاًّ وكنتَ تجرّ أمس الذيلَ تيها

فرعون : كذا الدنيا تُغيّرُ يابن كسرَى نخفّها إنما لا خيرَ فيها

وهبك قهرتنى أقهرتَ مصرا

قمبيز : أجلْ وضعتُ سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنار تطوفُ على البلاد وما يليها

وتجعل من هيا كلها رَماداً وتُنزلُ فى الأزقة مُترفيها

وتدعَكُ فى تراب الذل أنفا

يطولُ على النجوم ويزدريها

فرعون : رويدكَ يا بنَ كسرى قف تمهَّلْ

فسادَةُ مصرَ تقهرُ قاهريها

قمبيز : رويدَكَ أنت يا فرعونُ إنى

إذا حطمتُ مصرَ فمن يَقيها

* * *

أليستْ فارسٌ والأرضُ تحتى

وأمرى فى الجنوب وفى الشمال

وقد غطّتْ فضاءَ الأرض خيلى

وهبتْ فى السهول وفى الجبال

القائد : شمخت بخيلك يا فارسىُّ فماذا صنعتَ بخيل القدرْ

تأمّل مكانى وما حلَّ بى ألم تتعظ بى ألم تزدجرْ

قمبيز : ما أنت يا مخدوع

فرعون : فرعونُ بسما

قمبيز : بل أنت مأسورٌ عليك قيودُ

وغداً ينوبُ عن القصور ورحْبها

سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودُ

وتدسُّ فى الأجداث غير محنَّط

يلهو بهيكلك البلى والدُّودُ

فرعون : قمبيز

قمبيز : فرعون بسما صلِّ ابتهل

واهتف لعَلَّ العجل عنك يذودُ

أنظر إلى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتْ لَمْ

ينحطَّ للشرف الرفيع عمودُ

إن الجواهرَ فى التراب جواهرٌ

والأسد فى قفص الحديد أسودُ

قمبيز : سنرى هلموا يا جنودُ أسيرَكم

عودوا به من حيثُ جئتم عودُوا

قمبيز [مستمراً] :

وأين نفريتُ ابنةُ الكذاب قد آن ينالها عقابى

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مخافة الحساب ألقتْ بنفسها إلى العُبَاب

وذهبتْ

قمبيز [ويضحك ضحكة جنونية] :

لكن بلا إياب

[تحضر نتيتاس وتقول] :

نتيتاس : قمبيز ؟

قمبيز : نتيتَاس ؟

نتيتاس : أجلْ

قمبيز : وماذا أتَى بكْ

نتيتاس : أتيتُ أنقذُ قومى وموطنى من عذابكْ

قمبيز : والزوجُ يا نتيتاسُ ؟

نتيتاس : وأنقذُ الزوجَ أيضا

قمبيز[ساخراً]: ومِمَّ ؟

نتيتاس : من شدةِ البلاء وغضب الأرض والسماءِ

قمبيز [فى غضب]:

إذهبى يا بنتَ فرعونَ إذهبى

اعزُبى يا حيَّةَ النيل اعزُبى

فانيس : تأخرى سيدتى لا تعرضى لغضبه

قمبيز : فانيسُ أنت ها هنا

فانيس : مولاىَ لِى لم ينتبه

نتيتاس[متهكمة]: مولاك كم تخدعُهُ

مولاكَ كم تسخَرُ به

قمبيز[إلى قواده]: أحقٌّ هو بى يهزأ

[ثم إلى فانيس]: أحقٌّ أنتَ بى تَسْخَرْ

وفى الأحلام تبدو لى وهذا الوجه لى يظهرْ

وقد يصفرُّ كالليمو ن أو يحمرُّ كالبنجر

[ويهجم عليه بالخنجر]

فانيس : أميرى سيدى ملْكى

قمبيز [ويطعنه بالخنجر] : أغِثْـــهُ أيها الخنْجرْ

[ضجة فى صفوف المصريين]

أحدهم : قد هَـــلك الواشى

آخر : قـــد هلك الخائنْ

كافاه قمبيـــز شـــرَّ المــكافاةِ

فانيس (بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر) :

آهِ من الخَنجرِ ما أحرهُ آهِ من الحِمام ما أمرّه

(لقمبيز) : قمبيزُ شَـلتْ يمينُكْ ولا أفاقَ جنُـــونُك

(لنفسه) : ويحى أرى عينى تَغيمُ وساعتى

تدنو وأشْعُرُ بانقطاعِ فؤادى

الذنبُ لى أنا قد خرجتُ لفارس

ومنحتُ مجنوناً هنـاك ودادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمتْ
كالجند واقِ مصارعَ القوّادِ
سيانِ حينَ تُحطُّ فى جوف الثرى
موتُ الفراش وموتةُ الجلاد
يا نفسُ لم أحملْ عليكِ دَنيَّةً
لاقِى المنيّةَ بالضمير الهادى
يونانُ تغفرُ لى وآلهتى بها
سَهرتْ عيونُهم على أولادى
قد خُنتُ مصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لكننى ما خنتُ قط بلادى

(أصوات من جانب المصريين) :

فانيسُ لا علمَ لهُ بما جرَى
قد قتلوا أولاده وما درى

[تظهر الجند يدفعون فتى فيقول قمبيز] :

قمبيز : وهذا الفتى مَنْ وِلمْ سقتموه إلىَّ

جندى : فتىً فى النّواحى يرودُ

قمبيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُشير البلاد

ويُغرى القُرى باغتيالِ الجُنودْ

قمبيز : تنحّوا به فاقطعوا رأسَه عساهُ لأمثالها لا يعودْ

نتيتاس [تستمع وهى متراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول] :

ماذا رأيتُ وماذا ؟ سمعتُ ؟ مَن يدفعونا
مَن ذا إلى النار ساقوا من أوردونا الأُتونا
تاسُ ؟ أجلْ هو تاس أتوا به المجنونا
قساَ الجنودُ عليه والجُندُ لا يرحمونَا

* * *

ما بالهُ عرف الوفاء وكيف ثابَ إلى الرّشادْ
ربى . أأشفعُ فيه ؟ لا . لا كيف أمنعه الجهادْ
لا . لن تحولَ شفاعتى بين الضّحية والبلادْ

* * *

هذه ميتةُ عِزٍّ امض تاسُ بسلامِ
قد صفحنا لك عن ذا ك التّجنّى والآثامِ
لا تمُت بالكاسِ والطا سِ ولكن بالُحسَام
سرّنى أنك تقضى للحمَى حقَّ الزّمام

وشفـــانى أنك الذآ ئدُ عن مِصرَ المحامِى
زُلْ لتبقى كودادى مُتْ لتَحيَ كفرامِى

[ثم تتراجع وتقول] :

والآن إلى طيبة والصعيدْ لحشر الدُّعاةِ وحشد الجُنود
وقهـرِ العدوّ وإرغامِه وقَذْف المُغير وراء الحدودْ

[وتخرج]

[يستجمع تاسو ويقول ، كأنما سمع ما قالت نتيتاس] :

عفت نتيتاس فيا مرحبا بك اليوم ياموت من زائر

قمبيز [الى وزرائه] :

ما الرأى يا وزرائى فإننى لســتُ أدرِى
ماذا بأبْناء مصـــرٍ من اختيال وكبْرِ

قائد : نحن بنـو الشيطان وهم بنـو الإنسان
ثان : والناسُ من طين السِّكَكَ وهم سُـــلالةُ المَلَكْ
قمبيز : أبىَّ لعمرىَ فرعونُ مصر ويُشبهُه قومهُ فى إباه
سأَدْعَكُ فى التربْ أنافَهم وأُلْصقُ بالأرض تلك الجِباه
قائد : سيّدى لا تُبـد رِفقا وامض فى الأعنـــاق دَقَّا

ثان : واهدم الأبراجَ هَدْمًا واحرق الأجرانَ حَرْقا

ثالث : ودَعِ الواديَ قاعا واحلق الشطّين حلْقَا

قائدرابع [عالى السن]:

سيدى بل تَرفّق فهو بالقادر أليَق

قمبيز [يضحك ضحكة جنونية] :

خُذُوا يا قادةَ الفُرْس أخاكم إنه جُنّا

قائد : أميرى خَرِفَ الشيخ فلُمْه أو لُم السِّنّا

قمبيز [يغمد خنجره فى القائد الشيخ ويقول] :

خُذْ طعنةً فيها الشِّفا تَصرفُ عنكَ الخرَفا

القائد [وهو يتلقى الطعنة] :

يا ويحَه قد عادَه الجُنون بل أنا حين هِجتُه المجنون

قمبيز : وأبيسُ معبودُهم أين هو؟

قائد : هو العجلْ

ثانى : وهو الذى ألْهوا

وزير : ثوَى العجلُ فى حُجرات الجلال

قائد : وقد نعّموه وقد رفّهوا

الثانى : وليس إلهاً ولكنّما على الشعب كهّانه موّهوا

أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يعبدونَ العجْلَ يا أزْدشر

أزدشر : يا لك من أحمـــق ثرْثار

ونحن ؟

الأول : النار إلهٌ لنـا

أزدشر : ما الفرْقُ بين العجل والنار

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل ملحد

الأول : أنت؟ إذن عشْ وامض بالعار

ما كانت النارُ بمحتاجة إلى قليل الدِّين كَفَّار

قمبيز : وأين هو العجل ؟

قائد : فى قُبَّة تليق لكسرى وآبائه

قمبيز [مغضباً مشيراً] :

أمسكوا الكلْبَ خُذوه ، أدبوه

ما أبى العجلُ ، بل العجْلُ أبوه

القائد : الــويل لى جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُنَّ إلا كَا

فأنتَ ساوَيْتَ بالعجل مولاكا

آخر له : أهكذا يا أحمقَ السلوكْ أهكذا يُخاطَبُ الملوكْ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبيز]

قمبيز : والآن ماذا رأيتُمْ وما الذى تفتُبونا

وما الذى نحنُ بالعجل يا تُرَى صانعونا

قائد : يَصُبُّ كسرَى عليه من البلاء فُنُونا

آخر : عَلِّقْهُ بين الأرض والسماء واتركْهُ للغربان والحداء

آخر : إدفنْه فى الأرض حَيًّا وهِلْ عليه التُّرابا

الأول : إذبحْه ذَبْحَ الخروف

الثانى : اخنقْه خَنْقَ الدَّجَاجة

آخر [بتهكم] : إصلبْه فوقَ عمود من هيكل المعبود

وزير : إحرقْهُ مولاىَ بالنار

قمبيز : إخسَأ فهذا أعظمُ العار

ماذا يقولُ الناسُ عنا غداً ألقوْا إلى النيران بالفار

قد دنَّسوها وهي معبودهم   من جثَّة العجل بأقذار

(ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم) :

قائد : مولايَ ما ذاك فارٌ   بل ألف فار وفار

آخر : يا سيّد الأرض أبشرْ   رأيُ الوزير أصابا

غداً يقولونَ بمنفيس   تغذت النارُ بأبيس

قمبيز [مقتنعاً ومقهقهاً] :

أجل غداً يُقال في الأخبار   العجلُ قد بات طعامُ النار

(ثم يقبل على أبيس ويخاطبه] :

إله النيل لِمْ تَغْضبُ   لِم تكسرُ جفنيكا

تأمَّلْ شَبَحَ الموت   ألَمْ يبدُ لعينيكا

وهذا خنجري الماضي   نخذه بينَ قرنيْكا

(ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول) :

إلهي ما ترَى عيني   خيالاتٌ وأشباحُ

وقتْلَى قد غدَوْا حولى   وقتلَى غيرُهم راحوا

وَجَرْحَى جذَبوا ثَوْبي   وجرْحَى غيرُهم صاحوا



وهذا خنجرى الماضى نخـــذه بين قرنيـكا

هذى عواقبُ بغى هذا القصاص المُتاحُ
لابدَّ من عدلِ يومٍ يرتدُّ فيه السلاحُ

قائد : ويح لقمبيز
آخر : وَيْحَ لَه جُنّا
الأول : مَنْ يُقتلُ اليومَ مَن الشّقى منّا

قمبيز (مستمراً) :

هذا أخى يصيحُ بى وتلك أختى تَنْتَحب
وآخرٌ يسألُنى أينَ دَمى ؟ أينَ ؟ أجبْ

قائد آخر : هذا ضميرهُ صَحَا هذا ضميرهُ انتَبهْ
حتى رأى آثامَه ولم يكُنْ لها آبهْ

آخر لنفسه : ثارَ بهِ ضميرهُ
(ثم لزميل له همسا) :

وما الضميرُ حيدرُ ؟

حيدر (للزميل) :
سريرةٌ تندمُ أحيانا وحيناً تزجرُ
ويرجعُ الناسُ لها إلا امرؤٌ لا يشعرُ

الأول (رستم لحيدر) :

وأينَ منزلُ الضمير ؟

حيدر : موضعٌ منَ الجَسَدْ

انظُرْ . هنا رُسْتُمُ القلبُ وها هنا الكبِدْ

[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)] :

(ثم مستمراً) :

وها هنا الضميرُ بين القلب والكبد قعدْ

رستم : هنا الدَّجاجُ والحمـ ـامُ ها هنا بلا عددْ

حيدر : والبَطُّ أيضاً والأوَ زُّ والحمارُ والوتَدْ

وكلُّ ما تسرقُ أو تخطَفُ من هذا البلدْ

رستم : حيدرُ هل يجترُّ الضـ ـميرُ أو هل يزدرِدْ

وهل له حوصلةٌ وهل له رجلٌ ويدْ

حيدر : يا أخي إنَّ الضَّمير النَّفْـ ـسُ أو بيتُ الشُّعور

وهو فيلٌ فى صدورٍ وهو فأرٌ فى صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو جبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخز الضميرْ

قمبيز [يقوم هائجاً وكأنما يفر من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيا ؟ ماذا بيا هـذا شقيق برديا

هـذا شقيق برديا وخنجرى فى صدره

جئت أخى تجزى أخا ك عن قبيح غدره

[ثم يزداد هياجاً ويفر من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسةُ أختى ألا تصفحين أتوسةُ زوجى ألا تغفرين

(ثم ينظر يميناً ويساراً وهو كالمجنون ويقول) :

آهٍ ليهْ آهٍ ليهْ ما هذه الزبانيهْ

كتيبةٌ بموضع وعسكرٌ فى ناحيهْ

وأروسٌ بوهدة وأرجلٌ برابيهْ

كلٌّ يصيح ردّ رو حى ردّ لى دمائيهْ

قمبيز (مع الأشباح) :

ويلى من الماضى ومن أشباحه

هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى

عجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى

شبحٌ . أجلْ شبحٌ وطيفُ خيال

* * *

شبحٌ كالمَلَكِ الوا فى اعينىَّ يلوحْ
شبحٌ كالزنبق النا عِم يَغْدو ويروحْ
ظَهرَ الحسنُ عليه وسرى الطيبُ يفوحْ

* * *

تمثالُ نتيتاسَ حول مذاهبى أحببْ بنتيتاسَ والتمثالِ
ما بالُه ألقى علىَّ سكينةً وأراحَ وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نتيتاسُ ملْكَةَ فارس
مالِى حُرمْتُ حنانَ قلبِك مالِى
ياليتنى لم أسمعَ الواشى ولم
أخرج حِيالكَ من قديم ضَلالى
قد ساءَ حالى فى غيابِك فارجعى
هيهاتَ بعدَك من يرقُّ لحالى
أأراك عندى والأمورُ رخيةً
وأراكِ عند شدائد الأهوال
بالله ياطيف الحبيبةِ قلْ لها خلَّفتُ قمبيزاً بأسوأ حال

صفنى لها تعساً كما شاهدتنى

قد عادنى صَرعى وجَدّ خَبالى

يا بنتَ مصرَ ويا يتيمةَ تاجها

عودى فداؤُك دولتى ورجالى

[ثم مستمراً] طابَ وردُ الحمام يا نفسُ هَيَّاً

خنجرى خنجرى إلىّ إليَّاً

(ويطعن نفسه بالخنجر فيقع)

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى النّازلينَ السّحابا

كسرى مضى للنارِ شُقُّوا عليه الثيابا

وحَطّمُوا فى ثَرَاهُ سيوفَكم والحرابا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكْ خُذ ثيابى

تعالَ خُذ قميصى واعْطِنى قميصَكْ

(يمزق كلاهما قميص الآخر)

مصرى من الحاضرين (لآخر همساً) :

أنظر أخى الفُرسَ وما نابَهُمْ شَقُّوا على المجنون أثوابَهُمْ

الكهان (لجماعة المصريين) :

يا أيها المرْضى اسجدُوا على دماءِ آبس

ويا أصحّاء انهَلُوا من دَمِهِ المقدَّس

بالشقَاءِ جَسَد فى دمِهِ لم يُغمَس

(المصريون يتشاقون الثياب)

فارسي إلى آخر :

أنْظُرْ إلى أبناءِ مصـ ـرَ فإنّ أمرَهمُ عُجابْ

أنظـر ألستَ تراهمُ شقُّوا على العجل الثيابْ

وزير فارسي (يخطب فى المصريين):

أيها الكُهّان من شَتّى الرُّتَبْ

عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْنِي الخطَبْ

إن كسرى تغفِرُ النارُ له

كان فى مَصرعِ أبيس السببْ

أيّهـا الشعبُ

مصرى لرفاقه : أميلوا إسمعوا

كيف يُنشِي المستبدّونَ الخُطَبْ

الوزير [مستمراً] :

قد أتى قمبيزُ كسرَى ما أتى

وهو مدفوعٌ بسلطانِ الغَضَبْ

مصرى [لأخيه بصوت منخفض] :

ليتَـه بالَ على نيرانِـكم بَوْلَةً تُطفى لظَاهَا واللّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُسألُ عن فَعْلتِـه

قد جنَى الرأسُ فما ذَنْبُ الذنَبْ

أيّها الكُهّانُ قد حَل على ربِّكم أبيسَ مقدورٌ غلَبْ

[ثم ملتفتاً بالشعب قائلا] :

مالى أرى من جانِبِ الشّعْبِ

بـوادر الفِتنةَ والشغبِ

قائد فارسى: ما أغْضَبَ الشّاةَ من الجزّارِ

حـذارِ حِلمَ فارسٍ حَذار

لا تِقفُوا لسيفِـها والنّار

[تتفرّق الجماعة هنا وهنا ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم)
أحدهم (لزميل له) :

ماذا جَرَى ؟

زميله : أما تَرَى ؟ على الثَّرَى هـذا الدّما
آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ ساءَ الخبرْ ما أشْأما
الثانى : حامِى الحِمَى ما اسْتَسْلَمَا لكنْ سَمَا إلى السما
آخر : لقد وهمتَ يا أخى أَفِق وراجعِ الرشَدْ
أبِيسُ فارق الوَتَدْ وسار رحلَةَ الأبد
الأول : العَمى يا أخى العمَى اتركِ الأرضَ والدما
وتأمَّلْ معى السَّما اتخذَ الجوَّ سلَّما
هو هـذا تَبَسَّما وعلى الجمعِ سَلَّما
وإلى الخُلْدِ قد سَمَا
الثانى : عجيبٌ شأن أبيس لأبيسَ جناحان
وهذا الرِّيشُ من درٍّ وياقوت ومَرْجانِ
وهـذا هو يرعاكَ بعينيهِ ويرعانِى

آخر [لزميلين له] :

أنظروا أني» أسمع «فُتّا» أبيسُ بالفُرس سَخَر
جَنَّنَ قمبيزَ ولَمْ يَزَلْ به حتى انتحرْ

شيوخ الكهان :

بُورِكْتَ يا أبيسْ يا صاحبَ المجد
يا موضعَ التقديسْ ومنزِلَ الحمدِ
سِرُّكَ فى منفيسْ وأنتَ فى الخُلْد

شبان الكهان :

أبيس سِرْ للسماء وانزل مع الخالدينَ
وَخَلِّ تلك الدماء تُحاسِب المعتدين
أنتَ سماءُ الجلال حِمَى الديارِ الأمين
القرنُ كالشمس طالْ وعَزَّ فى العالمين
يا صورةً من فُتاحْ ومن سناه المبين
هذا شُعَاعُ الصباحْ أمْ غُرَّةٌ فى الجبين

(ختـــام)

نظرات تحليلية فى الرواية

١ — تمهيد

قصد « المؤلف » إلى أن يقيم دعائم الرواية على المعنى السامى الذى ينتهى إليه شرف الإنسانية ، وهو التطوع بالنفس إجابة لداعى الوطن فى ساعة العسرة . ولقد تراءت فى رواية « قمبيز » فكرة الفداء والتضحية بالنفس من أجل الوطن ، وفى سبيل وقايته وسلامته . فمهما تنوعت حوادث « الرواية » ، واشتبكت مواقفها ، وراعت مشاهدها فلست مستبقياً فى قرارة نفسك إلا إعجاباً بالغاً « بنتيتاس » تلك الفتاة الأميرة المصرية التى اختارها «المؤلف» رمزاً للتضحية وصورة للفداء من أجل الوطن وذكرى الجدود ومهوى الأفئدة .

ولقد وفق «المؤلف» توفيقاً كبيراً لأن يصوّر جوانب تلك النفس العالية ، وأن يصبغها بالألوان التى تصبغ النفوس البشرية من غضب ، وحقد ، وهياج ، وسكون، ورضا، وسخط ، وحب ، ووفاء ، غير أنه استطاع إلى جانب ذلك أن يجعل فيها لون التضحية بالنفس والجود بها أسطع لون ، وأبهر منظر . واستطاع أيضاً أن

يشتق من تلك الفضيلة — فضيلة التضحية — جمع الخلال الكريمة من ودّ وتعطف وبر ورحمة . ثم أبان كيف يمتزج معنى الفداء بالنفس فتعظم النفس وتستحصد وتتغلب على جميع الهنات والنقائص البشرية .

وإنى لزعيم بأن كل مطالع لتلك « الرواية » سيرى أن قد اجتمع فيها : الحكاية ، وحسن الأداء ، وسموّ المغزى . وسيرى أيضاً أنها أشبه « بمرشح » تلتقى لديه ينابيع الحياة . ثم تروق وتنجلى عن الحكمة الصافية ، والعظة البالغة وبينهما فضيلة إفناء النفس لحياة الوطن وتلك أسمى فضائل الوجود .

وإنى لزعيم أيضاً بأن المتتبع للرواية إذ يخلص إلى نهايتها سيتردد فى تسميتها ! ! يسميها رواية (قبيز) أم رواية الضحية المصرية لإنقاذ الوطن المصرى ! !

٢ — لمحة تاريخية فى عصر الرواية

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد كان يحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقر البلاط (صا الحجر)

وكان على العرش حين تبدأ أحداث الرواية (أبرياس) وكان ملكاً قد اشتهر بالضعف السياسى فى الداخل والخارج . فما هو إلا أن أتيحت فرصة لبعض قوّاده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكاً على مصر فى أثناء ثورة عسكرية فى (ليبيا) وعاد بعد ذلك إلى مقرّ الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر .

وكانت سياسته ترمى إلى الاستكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم فى صفوف الجيش ويتخذهم عدّة لنفسه وبخاصة طائفة الإغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عوناً له فى صدّ غزوات الفرس عن مصر .

ولقد بالغ (أمازيس) فى اصطناع الأغريق ، وأوسع لهم فى جنبات الوادى ، وأقطعهم مدينة (نقراتس) فى الدلتا . فاصطبغت بالصبغة الأغريقية واستبحر عمرانها ، وراجت أسواقها التجارية ، وكان ذلك موثقاً ومدعماً مابين (أمازيس) وبين الأغريق ، غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذين رأوا سيل الغرباء يتدفق على بلادهم ويتسرب إلى نواحى

الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية ، وفوق هذا فقد صار جيش البلاد أوشاباً وأخلاطاً من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حمية . ولم يبق للمصريين أنفسهم مقام فى صفوف الجيش فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامحت منهم روح البسالة التى كانت شعار الجندى المصرى .

* * *

فى ذلك العصر كان (قمبيز) ملكاً على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محباً للغزو والفتح وكان لا يزال يطمح فى غزو مصر ويتربص بها الدوائر ليجعلها قاعدة حربية فى غزو بلاد الغرب ولا سيا (قرطاجنة) التى اشتمل نفوذها سواحل البحر الأبيض المتوسط .

* * *

وتروى الأخبار هنا أنه قد خطب بنت (أمازيس) ملك مصر لتكون زوجاً له . فلما زفت إليه وتبينها عرف أنها ليست بنت (أمازيس) فغضب وجنّ جنونه ، وكان مصاباً بالصرع

والجنون المتقطع فما هو إلا أن شرع فى غزو مصر لينتقم من ملكها الذى خدعه .

ويروى مؤرخو الأغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانية واسمه (فانيس) كان قد انتظم فى سلك الجيش المصرى وارتقى إلى منزلة القوّاد . ثم أبت له نحيزته إلا أن يخون مصر وملكها ففرّ إلى فارس وأنهى إلى قمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو . وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت إليه الأنباء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (أبسمتيك) على عرش مصر .

* * *

غزا (قمبيز) مصر براً وبحراً فهوجمت مدينة (الفرما) بحراً وزحفت الجيوش البرية وبعد مقاومة شديدة استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (أبسمتيك) وكان (قمبيز) أوّل عهده بالفتح متسامحاً ، ولكنه عاد فحنق على المصريين فهدم المعابد والهياكل وقتل بيده العجل (أبيس) أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ثم مات بعد ذلك .

٣ — حوادث الرواية

أمكن « المؤلف » أن يحرص على وقائع التاريخ ، وأن يؤدى حقه غير منقوص ، ولكن تاريخ تلك الحقبة الغابرة لم يتأت له أن ينال من التمحيص العلمى ، ولا أن يعنى بحياة الأشخاص الذين عاشوا فيه عناية تدع لهم فى نفوس الناس صورة كاملة الألوان ، بل قنع واصفو التاريخ العتيق بصور يلقى عليها الناس أبصارهم متعجلين لا يحققونها ولا يعرفون منها ماوراءها ؛ غير أن « مؤلف » رواية قمبيز تلقى العناصر الأولى للحوادث وللأشخاص وهو « شاعر » سرى الخيال ، مرهف الإحساس ذو بصيرة نافذة وخبرة بالتصوير ، فما زال بحوادث التاريخ وأشخاصه يجلوها ويفصلها ، ويكمل ألوانها ، ويبرز خصائصها ويذهب إلى ما وراء الظواهر فيتعمق فى الدراسة ليستخرج دقائق تلك الحياة النفسية والوجدانية التى اضطربت بها الأفراد والجماعات فأنشأت ما أنشأت من بطولة وغزو ونصر وهزيمة وحب وبغض وعقاب وفناء . ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال من صنيع المؤلف :

تلقى المؤلف عن التاريخ « أن قبيز » العاهل الفارسى كان من القسوة والعنف ، وكان من الجنون المتقطع بحيث هانت عليه الدماء والأرواح ففى برهة واحدة من نوباتصرعه وجنونه يفتك بأخته وأخيه بعد أن يكون قد روى الثرى بدماء العالمين ، هذا إلى ما فتن به من الغزو والقهر وتوسيع رقعة ملكه شرقاً وغرباً .

تلقى « المؤلف » ذلك عن التاريخ فما زال يبرزه بفصول الرواية فى شتى الصور ، ومختلف الأشكال ، ولم يشأ أن تفارق شخصية « قبيز » الحياة حتى يحضرها فى الساعات الأخيرة ما قدّمته من سيء الأعمال ثم يشعرها بشناعة الآثام ، ثم يريها كيف يكون تأديب الأقدار ، لكل طاغية جبار .

وإذا تحدّث التاريخ إلى « المؤلف » بأن المملكة الفارسية قد انبسطت رقعتها ، وترامت تخومها ومع هذا تمزق هذا الملك العريض شر ممزق وتقلص ظله وشيكا .

يتلقى « المؤلف » ذلك ثم ينظر إليه النظرة الفاحصة الشاملة فإذا بتلك النظرة الشاعرة النافذة تجمع الأسباب والمقدّمات وتجلوها فى ثلاثة أبيات من الرواية على لسان فارسى يقول :

ليت شعرى فلست أدرى إلى أىّ بلاد « قبيز » يدفع فارس
قد فتحنا الفضاء شرقاً وغربا ولمكناه من عباب ويابس
اتسعنا من الفتوح ! يقينا غير أنا لم نفتكر بالحارس

ففي الشطر الأخير ركز « المؤلف » رأيه فى سياسة الفرس الاستعمارية ، وأسباب فشلها وتعفية آثارها .

وبعد فالمؤلف « شاعر » وفضل الشعراء على غيرهم أن يبعثوا فى الحوادث حياة ، وأن يفرغوا عليها ضياء ، حتى يمض فى جنباتها بريق من النور فتبدو الحكمة ويبصرون الناس منها بما لا يبصرونه.

٤ — الحياة المصرية فى عصر الرواية

استطاع « المؤلف » أن يصف الحياة المصرية وصف المؤرّخ الصادق ، وأن يصوّرها تصويراً دقيقاً ، واستطاعت ريشته أن تلوّن ما دق منها وما جل فلم تقتصر على ما هو بارز وناتىء بل تجاوزت ذلك إلى ما هو باهت وخفى ومبهم . بل تعدّت ذلك إلى وصف النفسيات والأخلاق والعواطف المصرية .

وقد قدّمنا أن سياسة «أمازيس» قضت بأن يستكثر من أخلاط الأجناد ولا سيما الفيالقة اليونان ، فكانت المظاهر الأغريقية من أجل ذلك تكاد تطغى على الأصباغ والأوضاع المصرية حتى استنكر المصريون تلك الحال ، وبرموا بها ومقتوها . وقد صوّر «المؤلف» ذلك على لسان مصرى فى الوليمة الكبرى يقول لصاحبه :

تأمل القصر «منا» وانظره أرضاً وسما
أنظر تر الأغريق فيـــه هم لفيف العظما

ثم يقول مصرى آخر لصاحبه :

تأمل القصر «خوفو» أفيه من مصر شى
أليس فرعون فيه كأنه أجنبي
فأين حفار مصر وفنـه العبقـرى

وقد يبدو سخطهم على الأجنبي الدخيل فى حوار جرى بين فارسيين فى الرواية فأحدهما يطلب إلى صاحبه أن يصف له ما لقيه فى جولته «بمنفيس» فيقول :

... ... كيف وجدت البلد ؟
وكيف احتقارهم للغريب إذ قام فى شأنه أو قعد ؟
وكيف عيونهم حوله إذ حملته احتمال الرمد ؟

* * *

وقد صوّر « المؤلف » ما يعتلج فى نفوسهم من هموم وآلام. وما يخافون ويحذرون من إغارات الفاتحين ، وما يبدو على وجوههم من الريبة والشك فى هؤلاء الغرباء الذين ملؤا شعاب الوادى . فقال على لسان فارسى من رجال الوفد القمبيزى :

تأمل (قباز) القوم وانظر وجوههم
وجوه عليها للهموم سحاب
ألست تراهم كما نقلوا الخطى
لهم جيئة من ريبة وذهاب

وهم مع هذا كرام للضيفان ، لا يألونهم حفاوة وترحيباً :

ولكنهم ما قصروا عن ضيافة
طعام ونزل طيب وشراب

فخرهم بجنسهم : وشاء « المؤلف » أن يبرز ما عرف عن المصريين قديماً من فخرهم بأنهم أبناء الشمس وأبناء الآلهة ، وأن هذا الخلق لم يفارقهم حتى وإن قعدت همتهم ، وأمحت بسالتهم :

لهم مثل ما للأسد بالجنس عزة
ضوارى الفلا عند الأسود كلاب
هم الشهب ، والناس الجنادل والحصى
وتبر الثرى والعالمون تراب

فنونهم وآدابهم : أما فنونهم وآدابهم وحضارتهم وسلوكهم « فالمؤلف » يصفها على لسان فارسى فيقول :

وكل الذى صاغوا من الفن آية وكل الذى قالوا هدى وصواب

وفارسى آخر يقول :

ولم أر مثل صناعاتهم سمواً وبعداً عن المنتقد
ولا مثل أخلاقهم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشد
إذا مر يافعهم فى الطريق بشيخ تنحى له أو سجد

... ...

وآثار فن تروع العقول وأجسام موتى تعيش الأبد

الروح الحربى : كان الروح الحربى إلى ذلك العهد قد ضعف فى نفوس المصريين لكثرة ما اندس فى الجيش فى أخلاط الزمن حتى لم يعد جيشاً مصرياً على الحقيقة . وقد انصرف المصريون عن الجندية إلى حيث يستظلون بظلال الدعة والنعيم والرفه . فلما جاء وفد فارس قبل غزوة « قمبيز » وجاس خلال الديار لم يجد فى القوم بأساً ولا فروسية وإنما رأى فى الجند المصرى صوراً وتهاويل وزخرفاً يتزين بهـــا حرّاس القصور لا حراس القلاع والثغور . وصف ذلك كله المؤلف وصفاً دقيقاً فقال على لسان الفارسى الذى جال « بمنفيس » حين سأله رفيقه :

ولكن (زفيروس) كيف الجنود؟ وكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم فى الطريق وتنظر أظفارهم واللبـــد

فأجاب :

أخى ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذ العين منهـــم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقـــد

ويرد عليه الأول :

إذن هو ملك بلا حائط   رقيق الأواسى ضعيف العمد
خلا الوكر من صرخات العقا   ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار   ولا فى الحديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور   تروق تهاويلها من شهد

وقد أبدع المؤلف فأودع فى صورة شعرية ، وفى بيت واحد حالة المصريين الحربية على لسان « فانيس » الذى كان قائداً فى الجيش المصرى وخانه وفرّ إلى فارس :

إن ورد السلم من كثرته   نسيت أظفارها فيه الأسود

ثم فصل تلك الصورة فقال :

حشر اليونان فى رايته   وتراغى الزنج واندس العبيد
وغدا كل طريد لم يجد   سبب الرزق ، أتى الجيش يصيد

وعلى لسان « نتيتاس » : — .... (قتل النعيم حمية الشبان)

تلك الحالة النفسية للجيش التى وصفها المؤلف أضعفت فيه روح المقاومة ، ومهدت للفتح كما رأى المؤلف ذلك فقال على لسان الواصف الفارسى لمصر :

فما أنت راء سوى جنـــة هى الخلد أو طيفه فى الخلد
يهب عليها غـــداً عاصف من الفرس أنى تمشى حصد

جوّ مصر السحرى : مصر دار السحرة ، وسحرها بهر العالم وجاء على الألسنة ، وفى الأسفار حتى الكتب السماوية ، وقد استطاع «المؤلف» أن ينقلنا أثناء الرواية إلى جوّ كله سحر وصور ساحرة . وكان سبيله فى ذلك أن أظهر على ألسنة الوافدين من الفرس ما أحسوه فى أرض مصر ، وما غمرهم من هذا الجو ، الساحر ، حتى لقد تحولت نفوسهم جميعاً إلى منبع من منابع السحر ، وانطبعت فى أذهانهم خيالات الساحرين . فهـذا فارسى يقول لصحبه وهم بمصر :

ياصحب كيف ترى تقضون ليلكم وكيف نومكم فى هـذه الدار

فيجيبه صاحبه :

أما أنا فإذا استلقيت طوف بى شتى الخيالات من سحر وسحار

... ...

ولا تزال بى الأرواح طائفة مناجيات بألغـــاز وأسرار

وبلغ « المؤلف » أقصى ما أراده من جعل هؤلاء الفرس ، وهم بمصر لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم خيالات مصر السحرية لا فى يقظة ولا فى منام فارسى أراد أن يقص على رفاقه ما رآه فى نومه من تهاويل وأخيلة فما يكاد يبدأ فى قص حديثه حتى يسرى الرعب والخوف فى نفوس إخوانه من أن تحضرهم ساعة الحديث أرواح خبيثة وتستمع إليهم . . ويقول له أحدهم :

صه تكلموا بهمس

فيبدأ صاحب الحلم فى صوت خافت يقول :

رأيت عصفوراً برأس إنس
أقبل حتى صار عند رأسى
فما ملكت عند ذاك حسى
ثم صحوت فوجدت نفسى
منطرحا أغط فوق الكرسى

ذلك بعض ما قصد إليه المؤلف من تصوير هذا الجوّ السحرى بمصر وقد وفق إلى إبراز تلك الصورة فى غير موضع من الرواية ، وكان توفيقه عظيما باهرا .

٥ ـــ صور تحليليــة لأهم أشخاص الرواية

قمبـــيز

طاغية جبار : أبرز « المؤلف » تلك الشخصية الجبارة السفاحة ، وأبرزها عنيفة قاسية إذ يقول « قمبيز » نفسه :

أنا قمبيز بن كسرى أنا جبـار الوجود
وأنا النـــار أصولى وبنو النـار جدودى
ويل فرعون ومصر من جنودى وبنودى

ويقول :

أنا قمبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
لست « بالعجل » أبالى وعلى « النـار » أبول

وإن تلك الصورة لترينا كيف تجرّد هـذا الإنسان من كل ما يقيد وجدان الشعوب على اختـلاف نزعاتها وعلى تباين فهمها لمعنى العبادة والخضوع والاعتقاد . . .

أما قسوته وشناعته فى أنفس الناس فقد تمثلت بمثل شتى ولـكن يجمعها كلها الطغيان والجبروت . فهذا فارسى من رجال

وفده الذى بعث به ليخطب له بنت فرعون مصر . سمع أرجافاً فى المدينة (أن بنت أمازيس عروس المليك تأبى المضيا) فصاح :

أتحت القبة الزرقا ء من يسخر بالشاة ؟

ورفيقه يقول له :

من أمازيس ما الأميرة يا مصـ
ـر أفى الأرض من «بقمبيز» يهزا

وما زال (المؤلف) يشكل تلك الشخصية شخصية ، «قمبيز» فهو تارة (وحش فى إهاب بشر) ثم يتحدث عنه المتحدث (أنه آدم بظفر وناب) .

صرعه وجنونه : كان له نوبات صرع وجنون تغشاه فتصدر عنه أفاعيل تقشعر لهولها الأبدان فهو إما قاتل أخاه ، وإما قاتل لأخته . وأراد المؤلف إبراز تلك الصورة فى أثناء الرواية إذ شرع يغتال أخاه وأخته فى ساعة جنونية .

وقد عظم الضجيج ، وعلا الصراخ ، وصاح المستغيث :

العفو يا كسرى الصفح يا سلطان
أخوك . والنار ومجدها ما خان

وتقول الملكة : (يا أسفا عاوده جنونه) .

أما عوارض الصرع ومظاهره وملابساته فقد بسطها المؤلف وألم بها وأخرجها ماثلة فى قول « قمبيز » ساحة حلول النوبة به :

قد رجع الصفير لى يا ليته لم يرجع
ما بال عينى أظلمت ما بال ساقى جمدت

وأروع ما صوره « المؤلف » ممثلا حال « قمبيز » بعد أن روّى الأرض بدماء المصريين ، وعاث فى مصر فساداً ، وقتل معبودهم « أبيس » ثم جاءته النوبة فإذا هو يهذى ويقول :

إلهى ما ترى عينى خيالات وأشباح
وقتلى قد غدوا حولى وقتلى غيرهم راحوا
وجرحى جذبوا ثوبى وجرحى غيرهم صاحوا

* * *

هذى عواقب بغى هذا القصاص المتاح
لابد من عدل يوم يرتد فيه السلاح

ويروع أحد الواقفين منظر قمبيز :

ويح « لقمبيز » ويح له جنا ! !

حبه لنتيتاس : وشاء المؤلف أن يطلع على ناحية من ذلك القلب القاسى ، فإذا بهـــا عامرة بالحب مأهولة بالود لزوجه « نتيتاس » وليس ذلك ببدع فى سير الجبابرة القساة وقديماً قال القائل :

قسا فالأسد تفزع أن تراه ورق فنحن نجزع أن يذوبا

شرح المؤلف هذا المعنى الذى كشفه مستقراً فى قلب «قمبيز» فهو يخاطب « نتيتاس » :

أما أحببتـــك الحب الـــذى أنت به أدرى
وفضلتـك فى القصـــر على البيضاء والسمـــرا
وقدمتـــك فى الأزوا ج قبل الأخت من كسرى

إذن (قمبيز) كان يحب زوجه « نتيتاس » وما ساءه وجرح كبرياءه إلا أنها أخفت اسمها وحقيقة أمرها عنه . ولقد بقى هذا الحب حتى آخر ساعات (قمبيز) وهو يودع الحياة ، وتلوح له أشباح السعادة الماضية فيحقق من خيالاتها خيال « نتيتاس » التى هامت على وجهها إلى طيبة فيخاطب الشبح :

شبح الملك الوا فى لعينىّ يلوح
شبح كالزنبق النا عم يغدو ويروح
ظهر الحسن عليه وسرى الطيب يفوح

* * *

تمثال نتيتاس حوله مذاهبى أحبب بنيتيتاس والتمثال
ما باله ألقى علىّ سكينة وأراح وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نيتيتاس ملكة فارس مالى حرمت حنان قلبك مالى ؟

الندم المرير : وعرض المؤلف لوصف أعقاب تلك الحياة التى ماجت بالبطش وإهدار الدماء وخيانة العهود ، فإذا صورة للندم المرير تتجلى فى قول قمبيز :

يا ليتنى لم أسمع الواشى ولم أخرج حيالك من قديم ضلالى
قد ساء حالى فى غيابك فارجعى هيهات بعدك ، من يرق لحالى

* * *

بالله يا طيف الحبيبة قل لها خلفت (قمبيزاً) بأسوأ حال
صفنى لها تعساً كما شاهدتنى قد عادنى صرعى وجد خيالى

نتيتــــاس

هى التى اختـارها « المؤلف » أميرة مصرية ، رمزاً لمعنى « التضحية » السامى إذ أرخصت حياتها ، وبذلت ما يضن به مخاطرة لحماية وطنها وحياطته . واختارها « المؤلف » أيضاً بنتاً لفرعون مصر المقتول « إبرياس » الذى فتك به (أمازيس) الفرعون الجالس على العرش .

فى تلك الشخصية الخيرة أرانا المؤلف النفس الفاضلة يعرض لها ما يعرض للنفوس البشرية من هنات ونقائص ومع هذا فإن الذى يغمر تلك الهنات والنقائص ، ويطهر مكانها ، ويضعفها أو يمحوها هو المعنى العلوى الأقدس — هو « التضحية » .

هذا المعنى ما زال « المؤلف » يبرزه ويوضحه ويؤكده فى النفوس كلما لاحت « نتيتاس » حتى ظفر بما أراده ، ووفق إلى ما قصد إليه .

فحيثما رأيت (نتيتاس) فى موطن من مواطن الرواية فثم قداسة الأوطان ، وثم فضيلة الفداء وهى الشىء الذى تشرف به الإنسانية.
وإنك لشاعر بحرب فى أعماق سرائرها بين ما اختصت به من

فضيلتها العليا وبين ما قد يعلق بالنفوس من حقد وبغض وكره ولكنك ترى الغلبة للفضيلة ، وترى نزوات الهوى ، ونزغات النفس قد تقلصت وغلبت على أمرها .

التضحية بالنفس : عنى المؤلف بأن يصور « نتيتاس » مثالا لها من أول الرواية إلى آخرها فهى تخاطب « نفريت » :

أتيت لأفدى بنفسى البلاد   وأرفع عن مصر شر العجم

وهى تخاطب فرعون أمازيس :

جئت أفدى وطنى من   سيف « قمبيز » وناره
جئت أفدى وطنى من   دنس الفتح وعاره

وهى ترد على تثبيط المثبطين لها أن تدع ملاعب الصبا ، وتسافر إلى الفرس :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت   بلادى ، حياتى للبلاد ومالى

وهى وسط الضجة المرحة ، والكئوس المترعة تخاطب نفسها :

أفيقى بنت فرعون   فما يزكو بك السكر

... ...

ولكن بين جنبىّ   هو أولى به مصر

وتقول (لقمبيز) وهى تصدّه عن غزو مصر :

تغير أنت وتغزو ويحفظ الله مصر

ويجيئها وهى بفارس رسل من مصر فتضرع إلى ربها قبل أن تعرف ما وراء الرسل وتهتف :

(وطنى يا رب لامس بشرّ)

ويخبرها (أمازيس) فرعون مصر قد مات وارتقى العرش ابنه (أبسمتيك) فتهتف :

(تعيش مصر وتبقى)

ويحل الطاغية الفارسى بمصر فيهلك القائم والحصيد ، ويقتل ويبيد ، وإذ هو يقضى فى رقاب المصريين ، ويسومهم الخسف وسوء العذاب .

تواجه (نتيتاس) وهو فى سورة غضبه فتسألها ما جاء بها فتقول :

أتيت أنقـــذ قومى وموطنى من عـذابك

وآخر صورة من صور تلك (التضحية) الفريدة ـ أنها وقد استيأست من (قمبيز) ولم تجد منه ماتخاطبه من عقل أو فكر راحت هائمة إلى طيبة تثير النفوس ، وتجمع القرى وتقول :

والآن إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود
وقهر العـــدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

الضغينة والحقـــد : « نتيتاس » بنت ملك . قتل أبوها خيانة وغدراً ، وجلس قاتله على عرشه ، فليس عليها إن هى حقدت على قاتل أبيها ، وأسرت له الضغينة والحفيظة . غير أنها لم تكن مسرفة فى حقدها ، ولا طائشة فى عدائها ، بل شاءت نفسها الحكيمة أن تفدى عرش مصر وإن كان الجالس عليه قاتل أبيها .

تبدو حفيظتها على الملك (أمازيس) إذ تخاطبه :

ليس بين ابنة وساقى أبيها غصة الموت من سلام وردّ
إن حقدى عليك دين وبر رب لا يذهب العقوق بحقدى

ويعجب بها فرعون إذ تقدمت للفداء فيتحبب إليها بقوله :
(بخ ! بخ بنت أخى) فتجيبه (أنت يا قتل : عمى ؟ ؟)
وتخاطبه مستهزئة : (تقتلنى مثل أبى) .
وتناديها (نفريت) ابنة الملك : نتيتاس أختى ؟
فتردّ قولها : أختها ما أضلها ! متى كان بيتى مجرمين وآلى ؟

الحب : أحبت (تنيتاس) أصدق الحب وأوفاه . فلم يشب هواها القديم (بتاسو) رثيث ولا وهن ، أحبته إذ هى بنت فرعون القائم على العرش ولم تكن تدرى أنه :

يعشق الجـــاه والغنى لا يحب الغوانيـــا

ولكنها رأته بعد أن حال حالها ، وثل عرش أبيها يصطنع غراماً جديداً بابنة فرعون الجديد (فتاسو) فى رأيها :

(... كالنحلة من زهر لزهر)

أو (... كالنعمة من قصر لقصر)

وهى تأسى على هذا الغرام القديم ، وتنقم من (تاسو) هذا العبث بقلوب العذارى فتخاطبه :

لعبت بى فيما مضى عابثـا فالعب بغيرى اليوم كالعابث
أقسمت لى فاذهب فأقسم لهـا فأنت أهل القسم الحـــانث

على أنها وهى تغاضبه وتعاتبه ، وتحاول أن تسلوه وتنسى حبه ما برحت تشعر بوقدة الحب ، وما برحت تناجى نفسها (بتاسو) وعهود (تاسو) . وتخاطبه على طول النوى ، وبعد الشقـــة :

(إن غبت عن عينى فأنـ ـت فى سوانح الفكر)

وتراجع وصيفتها التى تنهاها عن ذكر هذا الغادر :

(أنا أفديه يا تتـــا بحياتى وإن قتـــل)

ثم تعلن رأيها فى الحب بجلاء فتقول :

(ما الحب إلا التضحية)

إكبارها لزوجها : لما أبرز المؤلف تلك الصورة على خير مثال ، جمع فيها ما تشتت من صفات الكمال الإنسانى . . (فنتيتاس) وإن كرهت قساوة زوجها ، ونقمت منه غزوه لبلادها كانت معه مثال الزوج المنصفة فهى تكبر « قمبـــيز » إكباراً وتقول لوصيفتها:

صدقت تتا . هو زين الشباب إلـه القنـــا قمر الغيهب

إذا غلبت فى القتال الملوك وفى الســـلم عز فلم يغلب

يسيطر كالشمس ســـلطانه على مشرق الأرض والمغرب

حزمها وعقلها : هى حازمة عاقلة فى الساعات العصيبة ، فلم يعزب رشادها وزوجها (قمبيز) يقذف بالحمـــم ، ويرمى بالشرر لغزو مصر بل أخذته بالحكمة والاقناع وقالت له :

(عد إلى الرشد ما جئت مصر يا قمـ

ـبيز ما ذنب أهلهـــا الآمنينا)

ثم طفقت تصده عن الغزو وتنذره عواقب الحرب ببراعة المنطق فهي تخاطبه :

(وأغبي الناس منشعر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا)

وبعد هذا تصعب عليه اجتياز الطريق إلى مصر وتشير فى نفسه التنبه والحذر فتقول :

(وأخشى أن يقول الناس زوجي غـــداة ذهابه نسى الإيابا)

حنوّها وتعطفها : فى ساعة الضنك والغضب وقد اشتملت الملاحاة بينها وبين زوجها لم تغفل عن أنها زوج فجاشت نفسها بأنبل العواطف نحو زوجها الذى جاءه الصرع وهو يغلظ لها فى القول فحنت عليه ، وأخذت تبتهل إلى الله بشفائه :

يا ويح زوجي ويحه هاج وعاده الصرع
يا نار كونى حوله أدركه يا آمون رع

فخرها بجنسها : أبرز « المؤلف » تلك الصفة فى « نتيتاس » فى مواضع شتى وهى بلا مراء صنو لصفة (التضحية) فإن إعجابها

بوطنها وتقديسها لأجدادها قد نمى فضيلة التضحية فيها من أجل الوطن والجدود فهى تارة :

(بنت الشمس بنت العواهل الأرباب)

وهى تتحدث عن نفسها فتقول :

(والدى فى السماء فهو إله) وتقول :

(أنا بنت الملوك أصلح للملك جدودى تملكوا العالمينا)

الإباء والعزة : لم يفارقها إباؤها ، ولم تند عنها عزتها إذا ما اجترأ عليها عظيم ولو أنه زوجها الجبار فإذا خاطبها متوعداً :

(احذرى أيتها الفتاة انفجارى) أخذتها العزة فأجابته :

(انفجر . ما بى انفجارك ما بى)

وتعالج الوصيفة عزتها لإخضاعها وإذهاب غضبها وتقول لهـــا :

اكظمى الغيظ يا أميرة . . .

فتجيبها فى أنفة وكرامة وفى وجه « قمبيز » :

(... ... بل يخرج من حجرتى ومن محرابى)

نفـــريت

ابنة « أمازيس » فرعون مصر وهى التى أريدت على أن تكون زوجاً « لقمبيز » ملك الفرس . فأبت أن تزف إليه وهى تعرف ما فى رفضها من الويلات والخطوب التى تحل بأرضها وأوطانها . وقد أخرجها « المؤلف » صورة للأنانية والأثرة ليجمع أمامنا ما بين الصورتين : صورة « نتيتاس » صورة الفداء المحبوب ، وصورة « نفريت » صورة الأثرة البغيضة .

الأثرة والأنانية : « نفريت » تعلم أن قبيزاً أرادها زوجة له ، وأن فى رفضها المسير إليه ويلات ونكبات تحل بمصر لكنها تقول :

(... ... اعتزمت البقاء وفى ظل هـــذى الحجر)

ويتجلى استخفافها بالأمور وبعدها عن مثل الحياة العليا إذ تقول :

لتخسف بقوم عليها البلاد ليستأخر النيل أو ينفجر
فأما أنا فسأبقى هنــا وإن غضبت فارس والنمر

المرح والعبث : وهى فتاة مرحة غريرة يلعب بقلبها (تاسو) حارس الملك أبيها كما لعب من قبل بحب (نتيتاس) فإذا رأت تاسو يتحدث إلى فتاة أخذتها الغيرة وشرعت فى تأنيبه :

تاس من أين ومن   كنت من الغيد تحدّث ؟ ؟

وهى تراه فتبدهه :

(تاسو هنا . هات اسقنا ! !)

يقظتها وحكمتها : وهى إلى مرحها يقظة حكيمة . فقد أظهرها « المؤلف » مغلوبة على أمرها ، لنوازع صباها ، وضعف همتها . فإذا استيقظت إلى موقف (نتيتاس) بدت حكمتها تطرى ما فعلته الفتاة فتقول :

(لله ما أعظمها   عندى وما أجلها)

ألم تصبر عن الوطن المفدى   وتسمح بالديار والشباب

وترض بأن تزف غداً مكانى   إلى النمر الأمير على الذئاب

خطيئتها وندمها : وبدت « نفريت » تعرض من أعمالها ما كان ذريعة لغزو بلادها وأسر أخيها (أبسامتيك) فندمت ، وراحت تعترف بأنانيتها وأثرتها :

ويحى لقد أودت بى الأنانيه
عشت فما أحببت إلا ذاتيه
ولا افتكرت بسوى لذاتيه
حتى قذفت وطنى فى الهاويه

وقد شاء « المؤلف » أن يودّعها من تلك الحياة بالعطف الذى يغمر المنكوبين والنادمين فغسلها بماء النيل من أدران أنانيتها :

يا نيل يا قوام كل شىّ
ومانح الحياة كل حىّ
هىّ اغسل الذنب العظيم هىّ

(تاسو)

هو حارس فرعون ، وهو فتى يرى لذات الهوى فى التنقل ، فلها أوّلا بقلب (نتيتاس) ثم ثنى بقلب (نفريت) وقد صوّره المؤلف غراً قصير النظر.

قصر نظره وغباؤه : وليس أدل على قصر نظره ، وضعف تفكيره ، وغباؤه من ظنه أن يكون له خلوات (بنفريت)

فى مصر (قمبيز) بفارس بعد أن تصير زوجة له كما يلتقى بها فى مصر وفى قصر أبيها ويعجب :

لم لا ؟ أليس فى القصور سعة
نحن هناك مثل ما نحن هنا

وتردّه نفريت إلى صوابه :

(هذا الغباء منك تاسو عجب ليس المكانان على حد سوى)

ضعف همته : ثم هو ضعيف الهمة فقد كلفه فرعون ليجيب الوفد الفارسى الذى خطب يوم الحفل ابنة فرعون فلم يستطع الكلام واعتذر عنه :

(سيدى من أكون ! مولاى عذرا)

قليل الوفاء : وهو يجازى وفاء (تنيتاس) بالكفران والجحود ، ولا يدرك جلالة الفكرة التى بعثها على أن تدع بلادها ، بل يتعجل بعدها عنه فيقول :

غداً تخلو لنا مصر غداً يصفو لنا القصر
غداً ترحل لا أرجعها البر ولا البحر

تكفيره عن آثامه : تلك الصورة المنكرة المنبوذة أراد «المؤلف» أن ينتهى أمرها إلى التكفير عن الآثام ، والندم على ما فرط ، فأحيا «المؤلف» فيها ما أماتته نزوات الشباب ، وغرارة الصبا ، وشهوات الجاه ودنسه ، واطلع منها آخر الرواية صورة (لتاسو) ناقمة حاقدة على الأجنبي المغير الذى يبطش فى مصر بطشاً . جعل (تاسو) :

... ... يثير البلاد ويغرى القرى باغتيال الجنود

فيفتك به (قمبيز) وقد رضى عنه وطنه وصفح على لسان (نتيتاس) التى تراه يموت فتقول :

هذه ميتة عز أمضى تاسو بسلام
قد صفحنا لك عن ذا ك التجنى والآثام

مؤسسة فن الطباعة
روزين شلهوب
مشاتل الأزهار - شبرا مصر . سجل تجاري ١٠٤١٣٥

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

بمصر ص. ب ٥٧٨



الثمن ١٠ ص